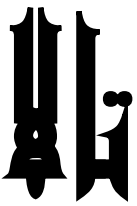


محمد نبيل كبا

تلا

مجموعة قصصية





تالا

” مجموعة قصصية ”

المفكر الإسلامي

محمد نبيل كبتها

الطبعة الأولى

2025م

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the writer

جميع الحقوق محفوظة، يمنع ترجمة أو نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأيّة وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية، بما فيه التسجيل الفوتوغرافي على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أيّة وسيلة نشر أخرى، بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها لأغراض تجارية بدون إذن خطّي من المؤلّف.

إهداء

اليوم أخبركم أني أحبكم، اليوم أنزع بحروفي هذه عني رداء الكهولة والبس
كنزة الطفولة لأكون اليوم فراشاً أتقل بين أحضان أربعة عشر زهرة...

نبيل محمد نبيل كبا

تالا محمد نبيل كبا

عزالدين عبدالرحمن نبيل كبا

عمر عبدالرحمن نبيل كبا

رفيق محمود كبا

زيم محمود كبا

يامن قبال بسيس

مصطفى قصي حجي

ألين قصي حجي

ماسة قصي حجي

جوليا قصي حجي

ليث مثقال ياسين

ليلي علي نبيل كبا

وزهرة أخيرة ما زلت أنتظر شهيقها



شكر خاص

أتقدم بجزيل الشكر لكل من شارك في كتابة الفصل الأخير
"التشاركي" في كتابي ومجموعتي القصصية من أدباء وكتاب
وروائيين وعامة في فلسطين وحول العالم العربي.

ميّادة مهنا سليمان - سورية / دمشق
ختام خالد كفاية - الأردن / الزرقاء
مي سليمان - السعودية / الرياض
أسيل محمد - فلسطين / بيت لحم
رنيم محمود رفيق - فلسطين / جنين
دانية - فلسطين / نابلس
حنان كامل خروب - فلسطين / قلقيلية
أحمد قصرأوي - فلسطين / جنين
نبيل محمد كبتها - فلسطين / رام الله
سماح عزام - فلسطين / ضواحي القدس
علي نبيل كبتها - فلسطين / جنين

فصصن وراقعة

من حمانف

الإبتسامات الحقيرة

هناك من أيقظ غضب هذا الشيطان لأنه تجرأ على دخول كهفه، إنه مخلوق عملي، ينحت أعماله بكل براعة، كهنيبال تماماً، حيث كان هنيبال لا يترك دليلاً ورائه، فقد كان يأكل الأدلة، يأكل لحم البشر الذين يقتلهم، فكان يقطعه الى قطع صغيرة ويغليه أو يقلبه أو يشويه، ثم يأكله؛ ولكن المصيبة ليست مع هذا الشيطان، بل مع تلك الصور التي تجمعني مع أصدقائي ونحن نبتسم على رف مكتبتني، لأنني لم أكن أعلم ماذا يختبئ ورائها، ولكني كنت أشعر أن خلف تلك الإبتسامات الحقيرة سكين هنيبال.

هناك فرق كبير بين أن تولد في عائلة أو أن تصنع فيها، وليس كل من هو في عائلة سعيد أو يحبها، فأحياناً لا يكون الرحم مكاناً آمناً دوماً، لأن أجنة أسماك القرش تفترس بعضها داخل هذا الرحم، إن قتل الأخ قتل النفس، ونحن ضحايا لمن نحب، ولكنها الدنيا التي قتل فيها قابيل أخاه هابيل.

لقد اعتدنا على مشهد القاتل الذي قتل أخاه ثم حضر جنازته، والمعلوم للجميع أن الشرطي أو الطبيب أو المسعف يصل إلى ساحة الحدث بعد انتهائه وفرار القاتل.

وبعد أن بلعت الأرض في بطنها هذه الجثة المقهورة، عاد الطبيب لمغازلة الممرضة، وعاد الشرطي لتصوير النجوم على كتفه، وعاد القاتل إلى المشهد مرة أخرى للبحث عن ضحية جديدة.

رأيت الأرض

في إحدى أيامي الغربية والعجيبة والتي أخرج فيها عن الواقع، وأكون فيها كما لو أنني داخل فيلم سينمائي حُبكت أحرفه بدقّة وإحكام، استيقظت على نغمة حزينة كان تخترق زجاج نافذتي، وأنا بطبعي أعشق الحزين من اللحن، فجلست على حَقَّت سريري أستمع لها، وإذا بهذه النغمة تجرّني نحو النافذة.

وقفت أمام النافذة ثم نظرت من خلالها كي أتتبع مصدر هذه النغمة، لأرى عجيبة من العجائب! أتعلمون ماذا رأيت؟ رأيت الأرض، ولكن وجهها لم يكن أزرق اللون، بل رمادي باهت، ورأيتها تتشكل بأيدي مهندسين على هيئة البشر، ولكنهم ليسوا ببشر.

كانوا ينحتون كرة في قلب تلك الكرة -يشكّلون عالماً داخل هذا العالم- وعندما فرغوا منها رشّوها باللون الرمادي.

بعد أن انتهوا من طلائها زرعوا في تربتها كل أنواع الفحش والفساد، وسقوها بالدماء، ثم أطحموا جميع السكان منها.

كان الناس وكأنهم ملسوعين في عقولهم، ويتخبطون كالشياطين، ولا وجهة محدّدة يسرون فيها. وكان هناك رجل يجلس على كرسي من ذهب وياقوت، ينظر إليهم من خلف تلك المرأة، ينظر إلى هذا العالم الرمادي الخاص به والخالي من المتضادات.

إنه عالم الرجل الجالس خارج اللعبة، ويتحكم بها من بعيد عبر الريموت كنترول، فبكبسة زر واحدة كان يقوم بغزو النَّاس عبر المفاهيم، حيث يحتل عقولهم ثم يغيّر المفاهيم.

إحذروه، فهو كالثعبان، يغيّر جلده في كل زمان ومكان وعصر، ولكنّه ما زال ثعبان.

شيخكم الفاضل

تمت دعوتي بوجه خاص من قبل مجموعة من المشايخ ورجال الدين للمشاركة في إحدى الندوات الدينية، حيث كان ملتقى ديني كبير في إحدى المراكز الدينية والثقافية الكائنة في إحدى المدن الفلسطينية، فلبيت الدعوة.

عند وصولي رحّبوا بي جميعاً، وجلسنا داخل المركز، وكان بينهم شيخ معروف محلياً يعمل كإمام لمسجد وخطيب له، بالإضافة الى كونه داعية إسلامي يعطي الدروس والندوات والمحاضرات الدينية.

بدأ البرنامج الديني، فصعد هذا الشيخ المعروف ليفتح الأمسية الدينية بخطبته العصماء، وكنت أنصت له وأنا أغلي كالبركان وأقع كحبات البوشار، حيث أن هناك مسخ صهيوني يتتلع الأطفال والصبيان والنساء والشيوخ في غزة، بينما عطوفته لم يتطرق في خطبته إلى ذكر أي شيء عن هذه الحرب الهمجية والبربرية -السابع من أكتوبر- ولو حتى بالتلميح!

كما أن خطبته لا ترقى لمستوى طالب مدرسي بالصف الأول، وكانت طويلة جداً كمركمة لا يوجد فيها كوايح لكي تتوقف، مما دفع البعض إلى التذمر والضجر، حتى أن الشخص الذي يجلس أمامي أخذ يتأفف ثم طالب الشيخ صراحة بالتوقف، وللصدفة تزامن إنتهاء خطبته مع فاصل إستراحة.

هبط هذا الشيخ المُبجل من على ظهر المنبر، ثم اتجه نحو إحدى البسطات ليشتري بعض الخبز والشاي، وخرج بصحبته العديد من المدعوين من الدعاة والمشايخ والعلماء.

أما أنا فلم أبرح مكاني، حتى تم إحراجي من قبل أحد المشايخ الذين استضافوني كي أشاركه كوبا من الشاي، فذهبنا معاً، وأثناء شربنا له سألني هذا الشيخ: "لماذا لا أراك تترتاد مركزنا إلا إذا دعوناك؟ وحتى لو دعوناك فإنك غالباً لا تلي ندائنا؟!"، فأجبت: "اني مشغول ومنهك في تحصيل العيش لزوجتي وأولادي"، فرد علي: "لا بأس يمكنك المجيء متى أردت"، فقلت له: "شكراً"، ولكني كنت في نفسي أقول: "لن أكررها البتّة، فهناك في غزة سفينة تحمل في بطنها مستقبل هذا الكوكب، وشيخكم الفاضل يحدثنا عن فضل الصلاة والصيام والقيام!!".

وما هي الا بضعة دقائق حتى تجمع حولي مجموعة من المشايخ الذين يتابعونني للإستفسار عن بعض المسائل العلمية، فأجبتهم بالحجج والبراهين وكانوا سعداء، وبعد وهلة جاء أحد المشايخ ليسمع رأيي في خطبة أميرهم وشيخهم السابق ذكرها، فأجبت: "لست مهتم ولا أكثرث لخطبة صاحب الفضيل، كما أنني لست مهتما برأي أي شيخ أو مفسر أو داعية أو عالم على هذه الأرض المهجورة، لقد أخبرتمونا منذ عهد النبي أن هذه الأرض هي جنة المؤمن، وأن الناس هم أخوة، وأن رجال الدين هم القدوة، ولكني في هذا التاريخ -السابع من أكتوبر- وبعد أن فاق عدد الشهداء في غزة ال 40 ألف، أدركت تماماً أن الأرض هي الجحيم، وأن الناس مُخدرين، وأن المشايخ منافقين.

أنا المسيح

ذات يوم بعثت أسأل خلف أحد الحرفيين لأكمل بعض الأعمال في منزلي، دُلني الجيران على أحدهم، اتصلت به، فأجابني وكان يبدو عليه من صوته أنه في الأربعين من العمر، وبالفعل عندما حضر إلى منزلي كانت التجاعيد تغطي وجهه، والشيب يشتعل في رأسه.

أخبرته بأعمال الصيانة المطلوبة منه، وبدأ هو من جهته بالعمل فوراً، كان هذا الحرفي يختلف عن جُل من جمعي بهم العمل في منزلي، حيث كان معظمهم يحبون التحدث والثرثرة أثناء العمل، إلا هذا الشخص الغامض، لقد كان طويل الصمت، وفي وقت استراحته يُجل النظر في السماء ويتمتم معها.

حاولت أن استدرجه بالحديث كي أستخرج المدفون فيه، ولكنه كان يجيب على قدر السؤال، عاودت كالمحموم مراراً وتكراراً أفتش عن منفذ في بطن هذا الحرفي، فلمحت في طيات محاولاتي أنه يهوى الحديث في مجال اللاهوت، ولكنه كان يمنع نفسه من الخوض فيها معي، فينسحب ويظل واجماً.

لعبت معه بأسلوب سقراط عندما كان يستفز تلاميذه بالسؤال، وأثناء تطوافي الطويل معه بالإستفسارات حول اللاهوت، وإذا بكلماته تخرج من فجاج طينه وتكسر صمته.

تبادلنا الحديث لساعات طويلة، وقبل أن تنتفأ الشمس نظر إلي نظرة حزينة وقال لي: "لو بُحت لك بسري هل ستبقيه سرّاً، أم أنك ستسخر مني كما فعل غيرك؟"، فأجبتُه: "بالطبع لا، وهل مشاعر الناس ووجداناتهم محل للسخرية!"، تعجّبت منه ثم ربتّ على كتفه وقت له: "ولماذا تفترض أن أسخر منك!"، فأجابني بحزن: "لأن هذا ما سيحدث، فبعض الكلمات لا تصدق، وبعضها لا يقع حتى في الخيال"، ثم أخذ شهق طويلاً، وأطلق زفرة عميقة، ثم تأوه، وقال: "أنا المسيح".

كان حالي عندما رنت هذه الكلمات -أنا المسيح- في أذني تماماً كشخص ضرب عقلي بمطرقة كبيرة! فنظر إلي هذا الحرفي نظرة كريمة وقال لي: "ها... ستسخر مني أم ماذا؟؟؟"، فعدت إلى رشدي سريعاً، وكتمت مشاعري وتحكمت بها، وأجبتُه وأنا مصدوم: "لا... لن أسخر منك".

أطلت النظر في عين هذا الحرفي ثم سألتُه: "أتقصد المسيح ما غيره!"، فقال لي: "نعم، أنا المسيح ما غيره"، فزدت للتأكيد وأنا مصدوم: "المسيح المسيح... عيسى بن مريم؟!"، فردّ علي بكل ثقة: "نعم... أنا المسيح -عيسى بن مريم- هو هو بعينه ولحمه وشحمه".

سألتُه: "وكيف أنت المسيح وقد رفعه الله إليه منذ آلاف السنين؟!"، فأجابني: "إن كل 40 عاماً يرسل الله من يجدد هذا الدين ويحمّله، ويكون ذلك من خلال المسيح، حيث يبلغ الله أحد الناس من خلال صوت يسمعه أنه المسيح، وعليه أن يبلغ الرسالة والدين، ولقد سمعت في صحتي صوتاً هبط إلي من السماء ثم وقف إزاء أذني وأخبرني أنني المسيح".

صدقاً... لقد صفعتني هذه الكلمات على وجهي، وصمتت طويلاً كما تلك الجثث في قبورها، وصرت أقول في نفسي: "لقد تعبت من مخاطبة الأحياء منذ زمن، وها أنا اليوم أخاطب الأموات!! ياليتني لم ألح في السؤال مع هذا الحرفي! يا ليتهُ ما نطق! إنَّ الصمت أفضل من الحديث على كل الأحوال".
ثم حاسبته وغادر منزلي.

العاتول أوبتيموس

معظم عقول رجال الدين الإسلامي من مشايخ وخطباء ودعاة ومفسرين ومفكرين وفقهاء وعلماء أنهكتهم الحرب الدينية فيما بينهم، فمزقوا الخطاب الإسلامي وانقسموا إلى فرق وطوائف وأحزاب، ليواجه المسلم المسكين في القرن الواحد والعشرين خطر انهيار عقيدته وسلامه الداخلي وسكينته.

وإبان ذلك كله يلتوي وينبعج وينطوي وينتهي الخطاب الديني الإسلامي على يد هؤلاء وسطحيتهم الفكرية وعدميتهم المعرفية "إلا من رحم ربي منهم"، فترى إحدى هؤلاء المشايخ يجلس مقرصاً في إحدى المساجد ويلقي درساً للعامّة، يتحدث عن الذرة ويسقطها على إحدى الآيات الكونية في القرآن الكريم، وإذا به يسأل: "مِمَّ تتكون الذرة؟!"، ليتضح أخيراً أنه لا يعلم شيئاً عنها أو عن مكوناتها، فضلاً على إسقاطها على آيات وكلمات الله دون علم ودراية ومعرفة في علم الذرة، ممّا جعله سخرية الحاضرين وكل من شاهد على مواقع التواصل الاجتماعي.

في خضم هذه الفوضى كلها كانت لدي محاضرة علمية، فقلت للمستمعين ما يلي: "كما يعلم الجميع أن الدول العربية والإسلامية منشغلة بأمور لا علاقة لها بالصناعات وخاصة الآلية والرقمية، لذلك أطلق علينا الغرب "دول العالم الثالث"، في المقابل قامت الصين بصناعة الروبوت الآلي، وليس هذا فحسب بل إنها قامت بإدراجه رسمياً في عام 2024م للعمل مع الإنسان ومساعدته في القيام بأعماله، فقامت بصناعة روبوت خاص بالحدادة، وآخر بالنجارة، وآخر للبناء، وآخر للغسيل"، وأثناء حديثي إلى المستمعين أعادتني الذاكرة إلى عام 2004م.

قبل حوالي 20 عاماً شاهدت إحدى أفلام الخيال العلمي بعنوان "I, Robot" والذي أنتج عام 2004م للمخرج (أليس بروياس) حيث قام بأداء دور الشخصية الرئيسية فيه الممثل والمنتج الأمريكي (ويل سميث).

يتحدث الفيلم عن صناعة وثورة الرجال الآليين، وأن الروبوتات أصبحت جزء لا يتجزأ من حياة الإنسان، حيث عرض الفيلم وجود روبوت في كل بيت، وكان هذا الروبوت مُعد لوظيفة معينة، فمنهم من كان لرفع الأشياء وجلبها، ومنهم للتنظيف والتكنيس والغسيل، ومنهم للعب ورعاية الأطفال.

كان فكرة هذا الفيلم حينها خيالية، ولكن مع مرور الوقت أصبحت حقيقة، حيث أعلن رجل الأعمال الكندي والمهندس (إيلون ماسك) عن صناعة روبوت آلي شبيه بفكرة الفيلم، وهو العاتول -أوبتيموس Optimus- التابع لشركة الصناعة -Tesla- وهذا الروبوت المتطور يعمل بتقنية ال "AI" والذي يساهم في نقل العالم والقفز به إلى مرحلة مُتقدّمة جداً.

في المقابل لا زالت الدول العربية والإسلامية من الناحية الصناعية والرقمية تسير في جزء من عقل -إنسان نياندرتال- حيث سنرى عموم الناس عامّة والمنبر الإسلامي خاصة يتسائلون وي طرحون ما يلي:

يا شيخ: هل يجوز للمرأة شراء Optimus؟

يا شيخ: هل يجوز للمرأة الاستعانة ب Optimus كي يقود السيارة عوضاً عنها؟

يا شيخ: هل يجوز للمرأة الجلوس لوحدها مع Optimus؟

يا شيخ: هل يجوز للمرأة أن تبدل ملابسها أمام Optimus؟

يا شيخ: هل يجوز للرجل أن يستعين ب Optimus لمساعدته في العمل؟

يا شيخ: هل يجوز للرجل المسلم أن يشتري Optimus لأنه صناعة مسيحية؟

مارياً والملحد

أعلن عن شاغر حول تخصصي -هندسة الحاسوب- في إحدى مؤسسات ال NGO فذهبت وقابلت، وتمت الموافقة علي والحمدلله، وبدأ مشواري في هذه المؤسسة.

كنت أقوم بمهامي الموكلة إلي، إلى جانب زملائي من العرب والأجانب، وعند حضور موعد الصلاة وسماع الأذان كنت أنهض إلى الصلاة، وكان زملائي في العمل والمدير يراقبونني، كنت أرى التهكم في أعينهم، وكنت أرى الغضب في عين رئيس المؤسسة.

وفي يوم من الأيام استدعاني رئيس المؤسسة الى مكتبه، فذهبت، ثم طرقت الباب فقال لي: "إدخل"، فدخلت، كان مكتباً فاخراً، لم أشاهد مثله -الطاولة مصنوعة من خشب الزان السميك المغطى بألواح الزجاج، والكرسي أسود اللون ومصنوع من أفخم أنواع الجلد الطبي- كان جالساً على الكرسي كما يجلس زيوس- إله الآلهة اليونانية، ثم قال لي: "إجلس"، فجلست، نظر إلي من تحت نظارته وقال لي: "وبعدين معك يا رسول الله محمد"، فقلت في نفسي: "أستغفر الله العظيم، يناديني برسول الله محمد! ما هذا الكفر!!"، فرددت عليه: "أنا اسمي -محمد- ولست رسول الله"، فهز رأسه وأشار بأصبعه نحوي وتحدث بنبرة عالية قائلاً: "لا تصلي في مؤسستي، فأنا لاديني"، فقلت له: "كل إنسان في الحياة له وجهته واعتقاده الذي يؤمن به، وأنا لا أتفق معك فيما تؤمن، ولكني أحترم الاختلاف، وأنا أو من بالله الذي وهبني الحياة وخلقني بعدما كنت لاشيء، وحق الله علي أن أطيعه فيما أمر، ولا أطلب منك -يا دكتور- أي شيء سوى أن تسمح لي بالصلاة في مكان العمل"، فردّ علي: "لا أريد أن أراك أنا ولا الموظفين أو الزائرين وأنت تصلي، فأنا لاديني، ومظفيني كذلك، واتجاه المؤسسة أيضاً كذلك"، فقلت له: "يا دكتور، إما أن أترك العمل، أو أن تخصص لي مكاناً للصلاة ولو على سطح المؤسسة"، فأعاد ظهره إلا الورا، ثم شهق وقال لي: "حسنا، أترى تلك الزاوية من القاعة؟"، فقلت له: "نعم"، فقال لي: "عندما تتأديك الصلاة اذهب إليها وصل، ولا تدع أحداً من الموظفين يراك"، فقلت له: "شكراً جزيلاً".

عندما هممت بالخروج قال لي باستخفاف: "إلهك الذي تصلي له يعلم أنني لا أملك في جيبتي نقود، فلماذا لا يرسل لي المال من السماء الآن إذا كان حقاً موجود؟"، عدت إلى نفسي أستغفر الله العظيم من جهل وكفر هذا المسؤول الملحد، ثم عدت إليه وقلت له: "إن للإنسان ما سعى، من غير المعقول أن تأتيني الوظيفة دون أن أسعى إليها! ومن غير المعقول أن يأتيتك المال دون أن تسعى إليه"، وخرجت.

عند حضور موعد صلاة الظهر، توجهت نحو القاعة وإلى تلك الزاوية تحديداً كي أصلي، وبالصدفة لمحت ذلك زميلة أجنبية -ألمانية- تُدعى "مارياً" في الأربعين من العمر، فسألت الزملاء: "ماذا يفعل؟"، فردوا عليها بسخرية: "إنه يصلي".

انتهيت من صلاتي، ثم اتجهت الى مكتبي لإتمام مهامي، وعند حلول وقت انصرافنا من العمل، كان رئيس المؤسسة -الملحد- يقف مع ماريًا ويخبرها أن تصعد معه بمركبته المرسيديس كي يوصلها الى منزلها، ولكنها قالت له: "كلاً، أريد أن أعود إلى منزلي سيراً على الأقدام برفقة زميلي محمد".

نفضت رأسي من الدهول من جوابها وتساءلت: "غريب، لماذا تريد أن تسير برفقتي إلى منزلها!؟"، سرنا معاً، وكان شغفها لمرافقتي هو أنها رأيتي الوحيد الذي يصلي في المؤسسة، واكتشفت أنها كانت معجبة بسلوكي لتمسكي بديني وبالصلاة، سألتني عن الإسلام، فشرحت لها ما هو الإسلام، وتحدثنا كثيراً حوله وحول الأديان، وإذا بها تقول لي: "أتعلم يا محمد أنني ارتديت الحجاب في مدينة نابلس"، فقلت لها والسرور يملأ وجهي: "هل هذا يعني أنك ستعلنين الإسلام؟"، فقالت لي وهي تبتسم: "لا، لقد ارتديته لأتحاشى معاكسات وتحرش الشباب بي"، فوقفنا كالمشلول من ردها الذي صفع وجهي.

وقفت هي الأخرى وأردفت تقول: "أين الإسلام الذي تتحدث عنه، انظر الى لباس الفتيات المسلمات لديكم كم هو ضيق ومغري الى حد كبير، والذي يظهر من خلاله كل مفاتها وحجم أعضائها وعورتها؟! انظر الى ذلك الشاب المسلم الذي بصق على الرصيف؟! وذلك الآخر الذي رمى السيارة من شباك مركبته على الطريق أثناء القيادة؟! هل هذا هو إسلامكم!!".

تمنيت أن الأرض ابتلعتني وقتها، ودعوت الله أن يلهمني الجواب، فألهمني سبحانه ورددت عليها: "إن هذا ليس هو ديننا، ولا أخلاق ديننا، وإن أردت الإسلام حقا خذيه من كتابنا ومن سلوك نبينا محمد -عليه الصلاة والسلام- وتعاليمه وما أصانا به، فنحن متألمين ولسنا مسلمين".

ثم افترقنا، وذهب كل منا إلى وجهته التي يقصدها.

راتبي الأول

عند تخرجي من كلية الهندسة من جامعة 6 أكتوبر في جمهورية مصر العربية "مصر"، عدت أدراجي إلى وطن الحبيب فلسطين، وبدأت بالبحث عن عمل كي أكتسب الخبرة وأشيّد مستقبلي. أرسلت عيني في قوائم الوظائف الشاغرة على الشبكة العنكبوتية، وقابلت في العديد من المؤسسات والهيئات والوزارات حتى تم قبولي بفضل الله في إحداها.

لقد كان الواقع العملي يختلف تماماً عن النظري وعن كل ما تم تلقيني به في الجامعة، لذلك كان علي إعادة نحت أفكارني من جديد، وأن أجتهد في العمل كي أحظى بقبول المسؤول واستحسان الموظفين ليتم تثبيتي في هذه الوظيفة.

كان الشهر الأول لي في هذه المهنة، ولم ألتقى بعد مرتبي فيه، وكانت وظيفتي كجبل شاهق مليئ بالمررات الداخلية، وكان علي أن أجد طريقي في أحدها كي أرى النور.

كنت أغوص بين أرتال الورق، وأحوم بين رفوف الكتب، طفت حول المعلومة شرق المدينة وغربها، أشق الممرات وأكسر المسافات من أجل الوصول إليها، وطرقت باب كل من كان ذو خبرة -منهم من أعتذر، ومنهم من طردني، ومنهم من أغلق السماعة في وجهي، ومنهم من عبس وأزاح بمحيّاه عني، ومنهم من استقبلني مُكرهاً ثم تحجّج وهرب- وأنا ما زلت صامداً إزاء حرب تمد بأذرعها كي تهدم حلمي في أن أكون.

كنت أقوى نفسي، وأثبتها، وأقول لها: "لا يمكنك اغراق السمكة وقتلها بالماء"، لذلك لا يمكن لأي شخص في العالم قتل حلمي.

أنا أعلم يقيناً أن طريق العلم شاق وصعب حتى على الأنبياء، فلقد جاء الوحي لنبيينا محمد -عليه الصلاة والسلام- بإقرأ، بخلاف كل الأنبياء والرسل، حيث جائهم آيات ومعجزات تكسر قانون الطبيعة، لكن بعهد نبينا محمد -صلوات ربي وسلامه عليه- اختلفت الأمور، فتم الإنعطاف بالنوع الإنساني إلى وجهة أخرى، حيث أصبحت الدنيا دابتنا التي نسوقها بالعلم.

لقد أخبرنا الله تعالى في كتابنا الكريم -القرآن- برحلة نبينا موسى -عليه السلام- إلى الخضر لنيل المعلومة، وكم كانت بحاجة إلى إنصات وجهد وصبر سيدنا موسى -عليه السلام- الذي كان تلميذاً في هذه الرحلة لدى معلمه وأستاذه الخضر.

بشكل عام... حياتي لا تخلوا من عنصر التراجيديا الذي حاول بشتى الطرق طي عنقي وكسره في مشوارني في هذه الدار منذ نعومة أظفاري -خاصة عند اشتغالي في هذه الوظيفة- لكن كان والدي وأبي الحبيب "نبيل سليمان كيبها" حفظه الله حاضراً في كل تفاصيلها، حيث كان له الأثر الأكبر في

تلوين حياتي بأشكال مختلفة من الصبر والثبات والجهاد والتي ألهمتني وساعدتني في نحت حرفي وتطوير معرفتي.

أما عن والدتي وأمي "أم محمد" حفظها الله، فلقد كان لها دور عظيم في بناء هيكلتي، حيث كانت تجري بين خلايا جسدي وأنسجتي وأوردتي، وتقف بين لسعة الألم ونعمة الأمل، فتمسح بيدها الدموع من علي وجنتي، وتنظف وتزيل وجع الحياة من قلبي المنكسر.

في ختام الأمر انتهيت إلى وجهتي، وأنجزت مهمتي الأولى في هذه الوظيفة، وتقاضيت عنها راتبي الأول -2500 شيكل- وعندما أمسكته بيدي كانت الفرحة لا تسعني، وكنت فخوراً جداً بنفسني.

عدت إلى المنزل، وعندما وصلت إليه ناديت خلف أبي على عجلة، فجاء، جلسنا في غرفة الضيافة، تحدثنا قليلاً، ثم وقفت على قدمي واتجهت نحو أبي، ثم جثوت على ركبتي ودنوت برأسي نحو قدم أبي وقبلتها، ثم رفعت رأسي ومددت بيدي التي أمسك فيها راتبي الأول إلى يد أبي، وأعطيته له كاملاً، وقلت له: "هذه ثمرة تعبك علي يا أبي".

نظر إلي أبي وعينه مدموعة، ثم بكى، فتلبكت وتفاجئت من ردّة فعل أبي، فلم أكن أتوقع ردّة الفعل هذه! فسألته وأنا محزون: "ما يبكيك يا أبي؟"، فرد علي: "إن أول راتب لي حصلت عليه وهبته كاملاً لجديك رحمه الله".

سائق التكسي

الحرب نثرت ثوبها على ساحة غزة، وقد كان هذا الثوب أحمر اللون وفارع المدى، ولم أكن لأعرف تراثية القدر حوله وما يحمله من مفاجآت، حيث قهر على فروه جثة إسماعيل هنية وحسن نصرالله ويحيى السنوار وأكثر من 45 ألف قتيل من غزة، والمئات منهم في لبنان "نحسبهم جميعاً شهداء عند الله".

بعض المشاهد لا تصدق، وبعضها لا يقع حتى في الخيال، أثناء انقاد غزة بنيران العدو الصهيوني، بينما كانت أختها الضفة تشوي الدجاج بالباربكيو فوق هذه النيران -إلا من رحم ربي من ثلة المجاهدين في جنين وطولكرم ونابلس وبعض القرى الفلسطينية- وفي إحدى أيام السابع من أكتوبر وتحديدًا في نهاية عام 2024م، كنت قد غادرت المنزل للذهاب إلى عملي، حيث أنني أعمل مهندس حاسوب في السلك الصحفي، وكنا في عملنا لا نحوم حول أي نوع من أي خبر دون الالتفات إلى غزة بشكل خاص.

استقلت مركبتي في الطريق نحو عملي، وأنا بطبعي سائق هادئ لا يسرع، لكن قيادتي هذه تغيظ وتغضب المسرعين والمتمردين على الطريق، الذين يعتبرونني سلحفاة الشارع، وعلى حين غرة وإذا بسائق تكسي متهور يسير خلفي، كان يضغط على مزماره بطريقة مزعجة حتى شعرت بأنه يريد أن يضربني به!

كان يحاول التجاوز عني بأية صراط حتى لو كانت النتيجة أن يصعد فوق مركبتي! كانت الطريق ضيقة، وكنا على مشارف مفترق في وسطه حيث لا يمكنني السماح له بالتجاوز لأنه قد يتسبب في حادث سير خطير قد يؤدي بحياته أو بحياتي، ولكنه لم يأبه لذلك، ورغم خطورة الموقف إلا أنه تجاوزني وكان يرمقني بنظراته الحادة وكأنه يريد أن يأكلني.

وأثناء تجاوزه عني كان يصب نظره إلي فقط وأعينه تقدح شراراً، وإذا بشاب يقود دراجته مسرعاً يقطع المفترق، ففمت انا بالضغط على مزماري لكي ينتبه سائق التكسي لصاحب الدراجة، فلقد كان على وشك دهسه لولا لطف الله.

أوقف صاحب التكسي مركبته، وترجل منها، ثم اتجه نحوي وهو يتمتم بعبارات لم أسمعها ويرسل إلي بتلك النظرات الرخوة، وعندما وصل إلي قال لي: "ليش بتزمر"، فقلت له: "أنت الذي ضغطت على لسان مزمارك في البداية ولست أنا، وأنا عندما زمرت لك، كنت أريد أن تنتبه لسائق الدراجة أمامك، لأنك كنت على وشك دهسه!".

جوابي لم يعجبه، فبدأ بمحاولة إختلاق مشكلة ليحتك معي فيزيائياً، فقابلته بردّ بارد جداً، فأنا لدي دراية واسعة بهذه العقليات الصفرية، حيث قمت بخفض نافذة سيارتي وقلت له جملة واحدة فقط: "مشكلتي ليست معك، وإنما مع دلوعة أمريكا"، تمسمر مكانه ولم يستوعب ما قلته له، حاول مرات

عديدة استفزازي بشتى الطرق ولكني كنت اردد له هذه الجملة: "مشكلتي ليست معك، وإنما مع دلوعة أمريكا"، ثم غادرت المكان.

إنها أيام الله يداولها كيف يشاء، حيث إنتقيت بسائق التاكسي هذا مرة أخرى في إحدى المجمعات، وإذا به يتجه نحوي، ثم وقف أمامي وقال لي: "إنت محترم ومؤدب جداً، وأنا أطلب منك أن تسامحني"، فقلت له: "سامحك الله"، ثم تأهبت للمغادرة، ولكنه أمسك بي وقال لي: "عبارتك التي قلتها لي -مشكلتي ليست معك، وإنما مع دلوعة أمريكا- ماذا كنت تقصد بها؟"، فقلت له: "كنت أقصد أن مشكلتي هي مع الإحتلال الإسرائيلي -دلوعة أمريكا- وليست معك أو مع أي فلسطيني"، وأكملت وجهتي وعاد هو إلى حظيرته وخلف مقوده.

قال تعالى: وجادلهم بالتي هي أحسن (الاية 125 من سورة النحل).

لا شك أن هذه التجربة العميقة التي أيقظت سائق التاكسي، عثر فيها على الأساس الذي يجب أن يشيّد عليه وجوده، وهو أن حربه مع الاحتلال الإسرائيلي وليست معي -أنا- أو مع أي فلسطيني.

إبني عبودة

انتظرتك طويلاً كي تعود إلى المنزل، كنت أبكيك كل دقيقة خاصة عندما ننتظم حول مائدة الطعام. لكن كان علي أن امسح دموعي، وأن أثق بأنك قادراً على الاعتناء بنفسك وعلى تحمل المسؤولية كي تخرج من سجن خيالك وتعود لنا مهندساً، وها قد صبرنا على ضيم السنين الخمسة حتى عدت لنا أخيراً المهندس "حمودة".

كان ولا زال أبي وأمي ينادونني بـ "عبودة"، منذ أن تنفست رثتي الأكسجين في حجر أمي إلى أن شارفت على البلوغ في سن الأربعين، وكان أكثر ما يزعجني عندما يكون النداء أمام الغرباء، كنت لا أحب ذلك، فأنا اسمي "عبدالرحمن" وكنت أرغب بأن ينادونني به، وأنا أحب اسمي -عبدالرحمن- جداً، كيف لا، وقد سماني والذي بهذا الإسم كي أكون عبداً لله وحده فقط.

عندما انتهيت من المرحلة الثانوية، وتجهّزت لألتحق بالجامعة وأتخصص بالتجارة، جاء إلي أبي للحديث معي، أخبرني الكثير وأوصاني بالآتي: "نحن الآباء نذهب بعيداً أحياناً لحماية أبنائنا، قد نخنقهم في هذه الرقابة، ولكننا نعلم إلى ذلك لحمايتهم ولأننا نحبهم، ونرغب بأن يكونوا أفضل منا - إن الأب يا بني لا يحب أن يكون أي شخص في العالم أفضل منه سوى ابنه- بهذه العبارات ختم رسالته لي".

الإبن: "أبي، أنا أحبك، لكن عظمي استوى، واصبحت أبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً، وأريدك أن تثق بي".

والدي "حفظه الله": "إنني أراك طفلي ذو الستة أعوام، ولا أراك شاباً يبلغ من العمر ثمانية عشر، ولو أصبحت وزيراً، ولو بلغت من العمر -ثمانون- فإنني لا أزال أراك طفلي الصغير ذو الستة أعوام... لا زلت أراك عبودة".

استنشط غضباً بيني وبين نفسي عندما قال لي أبي -عبودة- فقلت لأبي "حفظه الله: "لم أعد عبودة ذو الستة أعوام، أنا -عبدالرحمن- ذو الثمانية عشر عاماً".

وغادرت المجلس كي أهيب نفسي للذهاب والتسجيل بالجامعة من أجل الدراسة، وجاء موعد إقلاعي وكانت وجهتي نحو جامعة بيرزيت.

كان والدي "حفظه الله" لا يرسل لي أفساط الجامعة إلا عندما أرسل له شهادة انتهاء الفصل الجامعي مصدقة ومختومة من رئيس الجامعة، بقيت على هذا الحال حتى تخرجت والحمد لله منها، وأصبحت بعضاً من أحلامي، عدت أدراجي إلى كنف والدي "الاقتصادي عبدالرحمن" ذو الثلاثة وعشرون عاماً.

استقبلني الجميع بحفاوة، واحتفلوا بي، وبعد بضعت أيام قال لي أبي: "ليس مزيداً من خططي لمراقبة وحمایتك، حان الآن أن تضع خطتك أنت لتعمل كمحاسب أو إقتصادي وتختار عروسك وتبني منزلك يا عبودة".

قلت في نفسي: "عبودة!، لا يزال يناديني عبودة! حتى بعد أن تخرجت ما زال يناديني عبودة!".

مرت الأيام والأسابيع والأشهر والسنين، وعملت كمحاسب في مؤسسات عديدة خاصة وحكومية، وبنيت منزلي، وتزوجت من امرأة فاضلة، وأنجبت طفلين جميلين "عزالدين" و"عمر"، وبلغت من العمر 35، وأصبحت مديراً في إحدى مؤسسات السلطة الوطنية الفلسطينية، ولا زال أبي الحبيب وأمي الحبيبة يروننا طفلاً ذو ستة أعوام، ولا زالوا ينادونني "عبودة".

إنه عمدوي الفقري، إنه أخي الحبيب (عبدالرحمن نبيل سليمان كبها).

أنا والسياسي

تمت دعوتي الى احدى المؤسسات الثقافية العريقة في فلسطين، وعند وصولي كان بانتظاري نخبة من لفيف المثقفين والكتاب والأدباء والسياسيين، وكان من بينهم سياسي بارز على المستوى المحلي والإقليمي.

دخلت وجلست، وكان مكاني بمحاذات هذا السياسي والذي يعمل أيضا كأكاديمي في جامعات الوطن، فرأيته يحمل بين يديه كتابي (السابع من أكتوبر: "بداية اللعنة") ثم نظر إلي نظرة رخوة وقال لي: "أنا لا أناقش المشايخ، ولكني سأخوض معك نقاشاً لأنك مفكر إسلامي، وبما أنك كذلك هذا يستدعي منك تقبل الآخر واحترام رأيه ووجهة نظره"، فقلت له: "هذا من أساسيات وأدبيات الحوار، لا تقلق، ولكن لي طلب؟"، فرد علي: "وما هو؟"، فقلت له: "سأصغي لك حتى النهاية، ولكن في المقابل سيكون عليك الإلتزام من ناحيتك وإعطائي المجال بالرد".

بدأ الحوار، وما كان منه إلا أن ألقى هذه الكلمات مُحاولاً صفع وجهي بها، فقال لي: (صورة مأساة الإنسان في غزة والتي صوّرتها في كتابك -السابع من أكتوبر: "بداية اللعنة"- على أنها بطولة، وأن المقاومة في غزة هي شرف الأمة ولولاها لما قامت لنا قائمة هذا كله وهم باطل، أين غزة الآن؟ لقد محيت عن الخارطة! أي أهل غزة الآن؟ أربعون ألف شهيد ويزيدون! كل ذلك كان سبباً ذلك الحزب والمقاومين فيه، هل من المعقول أن أصدق أن بضع مئات اخترقوا الأسلاك الشائكة والجدران الأسمنتية والرادارات، وقاموا بقتل وأسر وقهر الجيش الاسرائيلي الذي لا يقهر؟! إن الاحتلال يعلم أن هذا سيحدث مسبقاً، وهم من مهّد السبيل للطوفان بأن ينزل لكي يكون لهم حجة، ويرتكبوا الابدات والمجازر والنكبات والنكسات -إن الطوفان هو من قاد غزة للهلاك، إنه السبب الرئيسي في كل ما حدث- وانظر في المقابل كيف ننعم نحن بالأمان هنا بالصفة بفعل من هم قائمين على قيادتها من أحزاب ومسؤولين.... هذا رأيي".

كان الحضور ينتظمون حولنا ويستمعون بإصغاء للحوار، سألت السياسي: "هل انتهيت"، فأجابني: "نعم"، فقلت له: "الآن جاء دوري كي أرد"، فقال لي: "تفضل"، فبدأت حوارتي معه بجملته من الأسئلة كان منها: ("هل يعقل أيها السياسي أن تساوي بين الضحية والمحتل؟"، وسؤال آخر: "إن الطوفان هو حصيلة ونتيجة لإحتلال صهيوني إسرائيلي يجثم على صدورنا ويكتم أنفاسنا منذ أكثر من بضع وسبعون عاماً، أليس هذا صحيح؟"، وسؤال ثالث: "شن الاحتلال الصهيوني الإسرائيلي في السابق سبعة حروب على غزة دون أن تبدي المقاومة أي حركة أو حتى أي نفس منها، لماذا لم تلوموا إسرائيل على ما اجترحته في السبعة حروب السابقة، ولمتم المقاومة أنها سبقت هذه المرة بخطوة؟!"، وسؤال رابع: "أي أمان تتحدث عنه في الضفة وفي كل يوم يقتل العشرات ويسجن المئات منا دون اكرثاث من القيادة والمسؤولين والأحزاب لدينا؟"، أخذت نفساً عميقاً ثم قلت له: "أنسيت أيها السياسي البارز أننا محتلون؟!"، ثم أرسلت له هذه العبارات: "لقد علموني أيها السياسي في المدرسة أشياء كثيرة، فأعطوني ذكريات لوطن لم أره بعد، وولاء لحاكم لا يمكنني أن أخدمه،

وحبا لطفل فلسطيني لم أستطع أن أنقذه من أنياب هذا المسخ اللعين الذي أنشبهها في جسده وفي حلمه!! لذلك علينا أيها السياسي أن نختار إما الطريق الطويل أو القصير، أو بالأحرى الطريق الطويل أو المميت، ولا يهم إذا كنت فلسطيني الهوى والهوية، وأنا أعلم أن الذين قاتلوا من أجل الوطن ليس لهم مكان فيه، ولكن لا بأس، فالموت من أجل الوطن هو اليقظة، وهل هناك نهاية مشرفة أكثر من ذلك، إنني افضل العيش فيه مع الموت على أن أعيش مع مسخ لعين لا يريد أن يمنحني الحق بالحياة التي وهبني الله تعالى اياها لأحياها، لماذا؟ لأنه كلما نظر إلي وحدق في عيني فإنه يرى وعد الله أت، ونهايته قد اقتربت! كتلك الأم الفلسطينية التي رفضت الهرب بسبب شرفها، فأيقظتها دماؤها، وكأنها ولدت من جديد، فتحول ألمها الى غضب، وغضبها الى انتقام، فتعلمت كيف القتال، لتأخذ بثأر أولادها وزوجها ونفسها وقدها من هذا الجرثوم الذي لا يزال يعيش في فقراتها القديمة". ثم ختمت حوارتي معه قائلاً: "أيها السياسي، ألا ترى أنك تنادي بما ينادي به تنتياهو وبن غفير وغالانت؟! إن حيفا لي، عكا لي، اللد والرملة لي، القدس والأقصى لي، هذا وطني هذا بيتي هذا شارعي، لذلك دعني احبه كما أريد، ودع الطوفان يحبه كما يريد، هذا الطوفان الذي توجه له الاتهامات هو الوحيد الذي صرخ في وجه هذا الإحتلال الصهيوني بعدما سقطت العروبة من أحرف العرب، وسقط المسلمون من أحرف الإسلام، وسقطت الإنسانية من أحرف الانسان، وهذا ما لم يعقله ولا يخبره سياسي وجودي يحوم حول العقل، وينزع اليه والى براهينه، دون الرجوع الى حظيرة الإيمان وإلى وعد الله تعالى لنا في كتابه الكريم".

خرجت من المؤسسة وأنا أعلم أن حوارتي مع السياسي كحوار مثقف الماغوط مع كلب السياسي عندما خان وطنه، أما بالنسبة لمن يدعون الإسلام فإني أشك بذلك -إلا من رحم ربي منهم- يا خسارة!! أين العالم والمسلمين من الأسد سلطان؟! لقد أكل نفسه ندما على قتله لمدربه -الحلو- أعتقد أن روح الأسد سلطان -الحيوان- لها ضمير يفوق معظم المسلمين والعربان!

فلسطين ضاعت بين إسلاميين يفتشون عن أعضائهم، وبين عرب مشغولون فيما بين سيقانهم.

فلسطين غزى أنسجتها السرطان الذي حال يدور وسط خط أصفر ساكت ويتفرج، وخط أخضر إندفع دون كوابح، وخط أحمر واقف ينتظر، وما بين يسار يكسر اليمين، ويمين يذبح اليسار، كانت فلسطين تصرخ ألماً ووجعاً أنها لا يسارية ولا يمينية.

فلسطين حارت في مسيرات مخصية لم تفلح فيها أسنتنا سوى في إطلاق الشعارات والتهافتات، وبين أيادي ناعمة تراشقت فيها الفتيات، وما بين خطابات الساسة ونجومهم الكدرية التي أفرغت جيوبنا، وما بين نسور واقفة على أكتاف غيرهم دون حراك منذ أكثر من سبعون عاماً.

وما بين كل هذا وذلك ترى الشاب الفلسطيني يقف شامخاً بين حاجز ورصاصة، تراه شاعراً وملحناً وفناناً وصحفياً ومهندساً ونجاراً وكاتباً ورساماً يرسم بيد واحدة يده الأخرى التي بترها الإحتلال الإسرائيلي.

صرخة ماكس

لم أكن على دراية أنك ستكون السبب في إرتقاء فكري وتلوين أعمالي كي أكتب لأول مرة في حياتي مجموعة قصصية أتحدث فيها عن حكايتك الحزينة.

لا أعلم من أين أبدأ وكيف أبدأ، ولكن هناك شيء دفعني لكي أجتّح نحوك، وهل لك أن تتخيل كيف لجرو صغير مثلك أن يفقدني الإتران، ويحملني أن أدور حول أمه التي كانت تلاعبه وتلعب شعره الأسود الجذاب المُترع باللون الرمادي.

يا لعظمة اليد التي نحتتكم ورسمتكم وفتحتكم وقدرت لقيانا في نواير رام الله، أكننت تعلم أنني وحيد أتقل في هذه الدنيا العابثة بين خريف عولمة المتحضرين، وربيع المتصهينين وصيف المتأسلمين، أكننت تدري أنني أنتظر شتاء الناسكين كي لا يرى أحد من لفييف العالمين ماء عيني!!

جعلت أنظر إلى همهمات ووشوشات أمك المرتبكة وهي تطبع قبلة على رأسك، وترقب حفيف خطواتك نحوي في هذه الدار التي لا تخلو من البعد التراجيدي، وكأنها كانت تقول لك: "لا تذهب إليه يا بني".

ولكنه تعالق الأحبة، ولكن هذه المرة لم تكن بين إنسان وإنسان، وإنما بين إنسان وحيوان "بيني وبينك أيها الجرو الحبيب".

لقد عقدت الدهشة أركاني أمام جرو لا يبلغ من العمر الشهرين، فلم يكن كلباً عادياً، بل كان أطفهم وأجملهم، وبدون وعي جعلت أمضي نحوه خطوة تلو الأخرى حتى صفعني الدين على مؤخرة رأسي، فتوقفت هنيئة، ثم تراجع خطوات، ثم قلت في نفسي: "لا يُمكن أن أكون سبباً في أن أحياه عن أمه"، لقد كان مطمئناً وسعيداً برفقتها، يلعب معها ويقفز حولها.

تراجعت قليلاً، وبين حيرة وسؤال أرسل إلي هذا الجرو عبر عينه البراقة سهما قتلتني -ما أجملك! سبحان من خلقك!- دلفت كلمتي الأخيرة رغما عني وقلت لنفسني: "سأخذه"، شعرت بالإرتياح والطمأنينة وقتها، وبدأت أتجه كشمعة تحترق نحو الأم، أحاول الإقتراب منها كي أخدم نشيجها، ولكن كلما إقتربت منها كلما إبتعدت عني، ولم تنجح كل محاولاتي معها لكسر المسافات.

وعلى حين غرة قلت لنفسني: "سأحمل جروها، وسأسير به، وهي بالتأكيد ستتبعني من أجله"، وبالفعل، حملته وسرت به، وما هي إلا ثواني حتى تبعتني الأم وهي تشهق قلقاً وتزفر خوفاً عليه، كنت أمشي أمامها بهدوء، وكانت تتبعني من الخلف بحذر وبطيء، بينما كانت السعادة تغمر جروها بشكل جلي وهو غائر في أحضاني، ولكني لم أكن أعلم أن القدر سيأخذني في أعطافه مع هذا الجرو نحو صرخة حزينة.

سرت ما يقارب النصف كيلو، ومع ذلك ظلت الأم تسير خلفي، كانت الفرحة لا تسعني وأنا بصحبتهم معاً، وكنت أرسم مربع مسكنهم تحت شجرة التين في باحة منزلي، وقبل وصولي وإذا بإحدى الكلاب الشرسة تعترض طريقنا، وما لبثت قليلاً حتى انقضت على الأم كديناصور فارغاً فاه، فما كان من الأم سوى أنها فرّت هاربة كي لا تقع فريسة بين شدقي هذه الكلبة المسعورة، ركضت حتى اختفت، وتركت جروها يتنفس خوفاً ويتجمد رعباً معي.

تملّكني الغضب حينها، ومكثت أنتظر في وسط الطريق، فلم يكن على مشارف منزلي سوى بضعة أمتار، آخ!!! -لو كان معي سلاح وقتها لقتلت هذه الكلبة الشرسة- أرسلت نظرة غضب لها وصحت وقذفت في وجهها بعض الحجارة حتى رحلت.

حامت الأفكار بعدها فوق رأسي قليلاً، ولم أجد أمامي سوى خيارين، إما أن أترك هذا الجرو الصغير في وجه قدر مجهول على جنبات الطريق ليأكله الموت، أو أن أصحبه معي إلى المنزل، فقررت أن أصطحبه معي كي لا تنهشه الحياة، فما زال صغيراً إزاء لكماتها ولا يمكنه الاعتماد على نفسه بعد.

وصلت المنزل، وكان أول ما قمت به هو بناء بيت لهذا الجرو على شفا شجرة التينة، وعندما انتهيت منه وضعته بداخله وقدمت له الطعام والشراب، وقلت لنفسي: "ماذا أسميه؟ ماذا أسميه؟ ماكس، سأسميه ماكس"، فقلت له: "هيا يا ماكس، ألا تريد القيام بجولة تفقدية لبيتك؟ تناول طعامك"، ودرت ظهري لأغادر، وإذا به ينبج بصوت حزين كما وكأنه ينادي، ولا أعلم هل كان ينادي على أمّه، أم أنه كان ينادي علي كي لا أتركه لوحده؟

لقد غرقت في طين اللوم حينها، فقد كان كما وكان الخوف قد التهمه -يداه ترتجفان، ويلتفت يمينا وشمالا، ويتحرك كالمصروع- فحملته برفق ولين كما وكأني أحمل إبني "نبيل" عندما كان طفلاً رضيعاً، وخبأته بحضني حتى سكن عنه الروع، ثم قلت لنفسي: "لا أريد أن أبقيه وحيداً، سأضع معه كلباً آخر يرافقه في وحشته"، وبالفعل فعلت ذلك، ولكن بدا وكأن الخوف ما زال ينثر ثيابه في المكان، وما هي إلا لحظات حتى صار ماكس ينبج وكأنه يصرخ علي، فقلت لنفسي: "هل هو خائف من الكلب الآخر؟"، فحملته مرّة أخرى حتى هدأ، وأخرجت الكلب الآخر من منزل ماكس، ثم أعدت ماكس لوحده في بيته، وقلت له: "لا تقلق يا ماكس، لقد ران الخوف عليك لأنها المرة الأولى التي ستنام فيها لوحده، لكنك ستعتاد بعدها السكنى والمبيت في هذا البيت الجميل، تصبح على خير"، وصعدت الى منزلي لكي أخلد للنوم، فلقد تأخر الوقت وأنا لذي عمل في الصباح الباكر.

عند دخولي في النوم استيقظت سنوات عمري الخاوية حول ما يسمى "صديق"، فأنا شخصياً علاقاتي محدودة جداً، ومعظم وقتي أقضيه وحيداً بين الكتب، وأجد صعوبة في الإنخراط مع الناس، ولا أستطيع البوح عن ما يثور في أعماقي حتى لأقرب الناس لدي، فقررت أن يكون ماكس هو أول من سأبوح له بسرّي.

في صباح اليوم التالي ذهبت للإطمئنان على ماكس، وبدى لي أنه بخير، قدّمت له الطعام والشراب وذهبت للعمل، وفي تمام الساعة الثالثة عصراً غادرت شغلي مبكراً ومسرّحاً للإطمئنان على ماكس، فوجدته بخير وقد إنتهى من طعامه، فصعدت الى المنزل فرحاً، وبدلت ملابسني، ورجعت له كي أصرّح به في نزّهة.

ذهبت الى الخلاء حيث أجلس دائماً لوحدي على تلك التلة، ولكن هذه المرّة كان معي صديق -إنه ماكس- جلسنا معاً فوق تلتني، وكان ماكس سعيد برفقتي، وكنت أنا أيضاً مسرور برفقته، أخذ يلعب ويقفز ويدور من حولي، ثم أقبل وجثى بين يدي، فقلت في نفسي: "آن الآن أن أبوح له بسري، أن الألوان أن أنزع ذلك المسمار من قلبي وألقيه على كاهل ماكس"، وبحت له بما لم أستطع البوح به لأقرب الناس لدي، وما ان انتهيت من الحديث معه حتى ربض ونام، جعلت أمر أصابعي على شعر جسده الأخاذ، كم كنت سعيداً ويدي تحتضن هذا الصديق الذي أخدم حرباً أنهكتني واستنزفتني لسنوات بعيدة.

دنا الليل، فأيقظت ماكس وعدنا سوياً الى المنزل، أدخلته بيته ووضعت له الطعام والماء، ومضيت الى منزلي، في الصباح ذهبت لأشق عليه فوجدته لم يتناول الطعام ولا الماء! فقلت: "لا بأس، يحدث عادة هذا"، ثم إتجهت إلى عملي.

عند عودتي شققت عليه كالعادة، ثم صعدت الى المنزل وقمت بتغيير ثيابي على الفور، وعدت أدرجي إليه برفقة ابنتي "تالا"، فحملته ونشرته في فناء المنزل، وراح يلهو مع تالا هنا وهناك حتى المساء، ثم أعدته الى بيته وقدمت له الماء والطعام.

في صباح اليوم التالي ذهبت للإطمئنان عليه، فوجدته لم يتناول الطعام والماء -لقراءة يومين متتاليين- أقمته الماء ولكنه رفض حتى أن يرتشف منه! ومع مرور الأيام بدا وكأن الوهن قد ابتلعه، والحزن قد أنشب أظافره فيه فأخمد صوته وردم ابتسامته.

حاولت أن أفهم سبب هذا الحزن الذي غلّف وجه ماكس فجأة، ولكنني لم أصل إلى جواب، وعند حلول وقت الظهيرة فوجئت بخروج سائل أبيض كثيف من فمه! وإذا بعقلي يجلدني بالأسئلة، ولم أستطع التفكير، وكانت الأفكار تتداخل ببعضها حتى اختلط عليها التمييز.

شيء أكيد يتنقل بين غرف دماغي، وهو أنني أشعر بالقلق الشديد على ماكس، وبدون وعي خلعت قميصي عني وجعلت أمسح به هذا السائل الذي ينفجر من فمه، فنظر إلي وكأنه يقول لي وداعاً لم أجد معنى في نظراته هذه التي رمقني بها سوى انها نظرات الوداع- قمت بتنظيفه وتمشيطة ومن ثم خرجت أنا وهو إلى الخلاء، ووضعته على الارض لكي يمشي ويلعب، ولكنه لم يقوى على الوقوف، وبعد عناء وجهاد نصب نفسه، وأخذ يسير بتخبط بضع خطوات، ثم اتكأ على صخرة، ثم استلقى، ثم ضمّ نفسه محاولاً أن ينام.

قمت بالإتصال بالطبيب البيطري فوراً، وأخبرته بحال ماكس، فقال لي أنه قد يكون تعرض للتسمم جراء لدغة أفعى أو عقرب، أو أنه تناول طعام ساماً، أو أنه يعاني داء معوي، وأخبرني أنه كي يعالج ماكس علي دفع ما يقارب ال 500 شيكل.

كنا في نهاية الشهر، ولم يكن بحوزتي أي مبلغ من المال، فقلت في نفسي -سأقترض المال غدا لعلاجه- وحملت ماكس وأعدته إلى منزله، وفي صباح اليوم التالي استيقظت وارتديت هندامي وخرجت لاقتراض المال، وفي طريقي مررت بماكس وإذا به قد فارق الحياة، مات!!

لقد شعرت حينها وكأن السماء تنوي علي، وغلف الحزن وجداني، فكان كما الدبابيس التي تخزق قلبي، بكيت كثيراً، ثم حملت ماكس بين يدي ودفنته بقميصي.

بعد مرور سويعات أصبت بنوبة حزن شديدة، وانهمرت الأسئلة علي من كل حذب وصوب، كيف مات؟ كيف مات؟ لم أقتنع برواية الطبيب بأنه قد تعرض للتسمم -فأنا من كنت يضع له الطعام- ولا من لدغة أفعى -فقد أقمت بيته على أرضية أشرفت شخصياً على تنظيفها وأزلت منها كل مصادر الخطر- صدقاً، لا أعلم ما الذي جرى!؟

ثلاثة أيام وأنا أفكر كيف مات ماكس؟! وصلت في النهاية -بعد تفكير طويل- من الممكن أنه قد يكون قد قضى على نفسه "إنتحر!"، قد يكون أقدم على الإنتحار لبعده عن أمه، أو لأنني وضعت في قفص، أو لأنه كان ينام وحيداً -يبدو أنه كان يعاني من ألم الوحدة، أو من خوف الظلام- أعتقد أن ماكس كان سعيداً معي في البداية، ولكنه كان على أمل أن يرى أمه مرة أخرى، وعندما اختفت كان يراني مكانها، هل من المعقول أنه كان يريد أن أملاً "أنا" مكان أمه؟ هل كان يرغب بالعيش معي داخل منزلي، وأن يبني في حضني وليس وحيداً في بيت كالقفص أسفل شجرة التين؟ هل أصيب ماكس بالإكتئاب من شدة حزنه فأضرب عن الطعام والشراب وإنتحر!؟

دفعني حزني وحيرتي كي أقرأ عن عالم الكلاب، وهل يوجد فعلاً ما يسمى باكتئاب الكلاب؟ لأصدم أخيراً بالجواب، فقد تم دراسة سلوك الحيوان من قبل علماء الزولوجي الذين قالوا وأكدوا ان هناك ما يسمى ب "اكتئاب الحيوان" وهو تماماً كاكئاب الإنسان، فتلك الزرافة التي رفضت أن يتم وضعها داخل قفص في حديقة الحيوان، فأخذت تضرب رأسها بالحائط حتى ماتت، إنتحرت! وذلك الأسد الذي رفض أن يعيش هو الآخر داخل القفص في حديقة الحيوان، فظل يعض في ذيله وفي جسده حتى مات، إنتحر! وتلك العصفورة التي أضربت عن الطعام والشراب طلباً في حريتها وماتت، إنتحرت! فتأكدت تماماً أن ماكس قد انتحر، لأنه أضرب عن الطعام والشراب ليومين متتاليين قبل أن ينهي حياته، قد يكون لحزنه على أمه، أو لوحده، أو لرفضه العيش في قفص بنيته له!!

لقد أضرم القلق في رأسي لهيباً عندما اضطلعت على هذه المعلومة، وشعرت أنني أنا السبب في انتحار ماكس الذي كان يعاني من الاكتئاب الشديد لرفضه العيش داخل القفص، ليطلب أخيراً حريته

عبر موته، موته الذي سبب لي الحزن الشديد حتى هوى بي في قبضة الإكتئاب ذاته الذي كان يعاني منه ماكس.

تذكرت قول الله تعالى في كتابه: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ [الأنعام: 38].

لقد علمني ماكس درساً عظيماً لا يمكن أن أنساه، وهو أنه بالإمكان أن تجد الإنسانية في أكثر الأماكن الغير متوقعة أن تجدها فيها، قد تراها في كلب يبكي على موت صاحبه، قد تراها في قطّة ترضع فأراً، قد تراها في تمساح ينقذ ماعزاً من الغرق، قد تراها في نمر يحضن غزالاً، قد تراها في ذئب ينعش سمكة على أعتاب الموت.

قد تراها في عصفور داخل قفص يُضرب عن الماء والطعام مطالباً في حرّيته من قبضة الإنسان، يرفض أن يكون أسيراً، ويحاول الفرار بكل الطرق من أجل أن يبقى مع أهله وصغاره ومجموعته، أخيراً مات العصفور، وجزء مني مات معه، أخيراً فرّ وطار العصفور، وجزء منّي طار معه، أتعلمون... لقد علمني هذا العصفور درساً، وهو أنّ العصفور لم يكن عصفور، فليس نحن من حرّناه بل هو من حرّنا، ليس نحن من أنقذناه بل هو من أنقذنا، لقد علمني العصفور كيف يكون الإنسان، كيف تكون الإنسانية في داخل القفص وفي خارجه، وأن تكون -إنسان- ليس بالأمر السهل، لقد علمني كلبني "ماكس" كيف يكون الإنسان إنسان!!

أخيراً... لقد كان منزلاً جميلاً في عيني، ولكنه كان قفصاً في عين ماكس!!!

الفيل العملاق

أعتقد أن البداية مع هذا الفيل العملاق هي عندما يتسلل إليك خلسةً بكل هدوء برفقة أعوانه، حتى ينتهي بك المطاف ذرةً في بهو معدته.

هذا الفيل ليس كأى فيل عرفته أو شاهدته، لأنه ليس له شكل ولا ماهية، ليس له أذن ليسمعي، أو قلب ليشعر بي، لا يبالي كم وصل الألم بي، ولا يكثرث إن انتحرت بسببه!!

ومهما حاولت، فإنني لا أستطيع إمساك قفزته المتوقعة، ولا أستطيع تخمين قفزته الغير متوقعة، بين ثانية وضحاها أجده قد تعلق وركب على ظهري! ومع تلون الأيام يقوم باستهلاك طاقتي، وأسير كما وكأني على ظهر سلحفاة.

أما عن ملامحي فكأنما مضغها القلق وابتلعها الحزن، وفي ابانها فإن الصباح يعادل المساء، والأيام كلها تشبه بعضها البعض في عيني، وكأني أنظر إليها من خلف زجاج سميك بدون ألوان، فاضطر إلى أن أضع قناعاً بساماً على وجهي عندما أخرج إلى الشارع أو العمل أو حتى عندما أجلس مع زوجتي وأولادي على مائدة الطعام، هذا القناع ذو الإبتسامة المزيفة أخفي ورائه وجهي الحقيقي الذي اشتقت الى أن أراه.

تتعاقب الأيام حول جثتي، ففي يوم أجلد نفسي وأعاقبها، وفي اليوم الذي يليه أدللها وأحبها، وعند وقوفي على الفاصلة بينهما يستيقظ جنود الفيل ممن يسكنون عقلي ويتسابقون في أوردته، وياليتكم تعلمون بماذا يخبرونني؟! أحدهم يخبرني أن أرمي نفسي من فوق سطح البناية كي أطير مع الملائكة، والآخر يحثني على أن أشنق نفسي كي أدخل الفردوس الموعود، والثالث يريد أن يصحبي بنزهة إلى بطن البحر كي ألتقي بالبحور العين.

يبدوا أنني في وضع لا أحسد عليه...

بحثت عن بقايا صديق لأخبره عن عقلي المترنح بين أحرق نائم وعملاق مخدر ومسوخ لعين وخروف مبرمج لعلّه يفهمني! لكن دون جدوى ... بحثت عن طبيب أو معالج نفسي كي ينقذني من توهاني بين سفينة البهائم وحديقة الشيطان ومنارة آدم وكهف إبليس، فوصف لي "بروزاك" ومنوم "زوبيكلون" ولكن عبثاً تحاول، لا فائدة ترجى... فأنا كمن لديه جزء في دماغه لا ينتمي إليه! ما الحيلة أمام عقل يعيي أنه يقف بين الوجود واللاوجود، وبين المعنى واللامعنى!؟

أصبحت حياتي رمادية، تماماً كإشارة المرور عندما تستقر على اللون الأحمر، والأشياء التي كانت تسعدني سابقاً لا معنى ولا قيمة لها، ولم تعد كذلك، ومع تسارع الزمن أشعر وكأن عقلي قد تخلى عني، فتارة يرميني في ماضٍ لم أخلق فيه، وتارة يرسلني الى مستقبل ليس لي أي وجود فيه، وبين هذا وذلك يمضغ هذا الفيل كل يوم جزءاً مني، ولا أستطيع أن أدفع أسنانه التي أنشبهها في لحمي، لا أستطيع...

في الغالب يجزني نحو السرير، وينفث في وجهي سحره الذي يقيدني ويقلبي، وأشعر بثقل كبير يرقد على أجناني -وكأنهما يحملان جبلا- لأستسلم في النهاية الى صديقي الوحيد -السرير- وأغمض عيني بعد صراع طويل وخاسر إلى النوم برفقة هذا الفيل.

وياليت لي أن أنام بعد هذه الهزيمة النكراء، فبمجرد أن أغمض عيني استيقظ القلق الذي يختبئ تحت طيات عقلي، وينقلني بلمح البصر إلى نفق أسود كاحل، حيث يبتعد ويختفي فيه الجميع عني. ولكن لا بأس، فأنا معتاد على الوحدة، فحتى عند استيقاظي أكون وحيداً في منتصف وجود أنشب مخالفه في حياتي وفي حلمي حتى.

لقد حاولت أمي -حفظها الله- الوقوف إلى جانبي بكل الطرق، فكانت تجلس على حافة سريري وتقول لي: "يا بني، حاول أن تضيء مصباح الغرفة على الأقل؟"، وكنت أجيبها: "لا أستطيع يا أمي، عند إشعالي له أرى أشباحاً مخيفة ووجوهاً ومرعبة تريد أن تنقض علي".

وحاول أبي -حفظه الله- أن يكسر خوفي، فكان يقول لي: "يا بني، حاول أن تغادر السرير، وتعال اجلس معنا؟"، ولكن أبي لا يعلم أن هناك مجانين يلتفون حول سريري -أبي لا يراهم، لأنهم يتجلون لي فقط- فها هو القلق يقف على يمين سريري، والأرق على يساره، والخوف من أمامه، والوسواس من خلفه -أنا الأسير والسجين لديهم- لا يعلم والدي أنني لا أستطيع مغادرة سريري.

وكانت لزوجتي -رضي ربي عنها- محاولات أيضاً، فكانت تقول لي: "يا حبيبي، حاول أن تخرج معنا الى الطبيعة؟ فالطبيعة الخضراء جيدة لحالتك"، وهي لا تعلم أنني عندما أخرج إلى الطبيعة أرى فيها قبراً، وهذا القبر يتبعني إلى كل مكان، ويخبرني في كل لحظة بأنني سأموت، وأنا أهرب من فاه المغفورة كي لا أسقط بداخلها.

أما عن إخوتي فلن أنسى سعيهم لإخراجي من أزمتي هذه، فقد كانوا يقولون لي: "أخي، تعال إسهر معنا ومع الأصدقاء في المقهى أو في أي مكان تريد؟"، وهم لا يعلمون أن أصدقائي الوهميين هم خبراء في نفسي، يراقفونها الى كل مدينة وقرية أزورها، وإن أردت الإفلات والتزويغ من قبضتهم أجدهم بانتظاري قبل أن يرتد إلي طرفي.

ولن أنسى القوارير -أخواتي- اللواتي فعلن كل ما باستطاعتهن لإزالة الدبابيس من قلبي، فكانوا يخبرونني: "أخي الحبيب، تعال إذهب معنا الى الحفلة كي تُغير عن نفسك؟"، وهنّ لا يعلمن أنني أنا الوحيد الذي لا أَرغب بالإنضمام إلى هذه الحفلة، لماذا، لأنني أنا الحفلة! أنا الحفلة التي سيرقص على ساحتها وعلى أرضها هؤلاء المجانين برفقة سيدهم "الفيل"!

بعض الأقارب كان لهم دور طفيف، فكانوا يتحدثون إلي عن ظهر قلب بكلمات قصيرة، منها: "إنس، إضحك، طنّش؟"، وهم لا يعلمون أن خلف قناعي البسام معارك خفية تدار، ونهر من الأحزان والألام والألأقي التي لا تخمدها الكلمات والعبارات.

أما عن الأصحاب فقد كان لهم دور رخو، فكانوا يلقون في وجهي بعض العبارات الميتة ويغادرون، كانت أسوأها: "هل تخاف من الظلام؟"، فأجبتهم: "لا، أنا لا أخاف من الظلام، أنا أخاف من النهار والأضواء، وأعشق الليل والظلام لكي أنام"، وأثناء جوابي قفز أحدهم وسألني: "هل تخاف من الموت؟"، فأجبت: "بالطبع لا، أنا لا أخاف من الموت، أنا أخاف من الحياة، أنا أخاف من الناس، فهم شياطين على هيئة البشر".

ختاماً، جاء الشيخ والقارئ والراقي والطبيب تلو الطبيب لكي يُعاین حالتي، وكانوا يحاورونني بهذه الكلمات: "محمد، أنت تصنع السعادة، والسعادة قرار؟"، ولا يعلم هؤلاء أنني أجاهد نفسي في كل يوم وكل دقيقة، وشياطين الإنس والجن من حولي، والمجانين القابعين في رأسي وعلى رأسهم "الفيل" وأعوانه، وأخرج من بينهم في النهاية كجثة تدور وسط محيط من سعادة الجميع التي لا أشعر بها ولا أستطيع أن أراها!

لم ولن يفهم الناس قصتي مع هذا الفيل العملاق، لماذا؟ لأنهم هم من ألقوه ورموه على ظهري وكاهلي... إن من أصعب ما يمكن أن يشعر به الإنسان في العالم هو أن يكون قلقاً بما يتعلق في القلق ذاته، ما أقصده هو أنه عندما ينتابك قلق معين بسبب شيء سيء معين يعترض حياتك، فإن هذا الشيء سيجعلك قلقاً، وهذا القلق سيجعلك عاجزاً عن فعل الشيء، مما يؤدي إلى قيام إحصار من الأسئلة تدور بسبب قلقك، والتي ستلقتك بدورها في حلقة جحيم القلق، حيث يتحول القلق من فردي إلى ازدواجي، لتصبح في النهاية قلقاً بخصوص ما يتعلق بقلقك!

لأول مرة في حياتي سأحدث فيها عن نفسي، وسأشارككم تجربتي مع الاكتئاب...

لقد مررت ولا زلت أمر بأيام لا أعلم كيف ينجيني الله تعالى منها، ألم ووجع "جسدي وفكري" لا يمكن احتماله، حتى وصل بي الحال إلى الاعتقاد بأنني فقدت السيطرة على عقلي وأني قد جُننت، وكنت أحاطب الله تعالى وأقول: "إلهي حبيبي ومولاي، يا من تفهمني.. إن كنت مُعِين بالجنون أخبرني، وإن كنت مُشخص بالإكتئاب ساعدني".

كنت أتحدث معي وأقول: (يبدو أنني مصاب بالإكتئاب أو بالجنون، ولكنني أستبعد أنني قد جننت، لأنني عندما سألت نفسي: "هل أنا مجنون؟" تبين لي حينها أنني عاقل، ففي الحقيقة لا يوجد شخص مجنون يجلس على الكرسي ويسأل نفسه: "هل أنا مجنون أم لا؟!"، والدليل على ذلك هو عدم إستطاعتي طرح السؤال من الأساس! فالمجانين لا يسألون عن عقلم هل هو بخير أم لا؟! لأن تصرفاتهم ومسالكتهم ستثبت ذلك -أعتقد أن دماغ المجنون كطائرة مليئة بالوقود تطير طوال الوقت ولا يعرف أين يهبط بها- لكن أنا -وبحمدالله وفضله- أعقل عقلي وأدركه، وصحيح أنه لا يخلوا أحياناً من شطحات جنونية، وأحياناً أهبط به إلى أماكن غريبة وغير مفهومة، إلا أنني في النهاية وبحمد الله أهبط به، لذلك، أعتقد أنني سقطت في قبضة "الإكتئاب"، أنا نازح ولاجئ في نفس الوقت في أرض هذا الفيل العملاق).

لأول مرة في حياتي سأحدث عن مُعاناتي مع الإكتئاب، حيث سأدخل عام ال 14 وأنا ما زلت سجيناً في مُعتقله، ولقد وصفت اكتئابي بخاطرة عنونتها: "عندما تتحول النملة إلى فيل!"، وأقول فيها:

إكتئابي له أصوات عديدة، وله صور كثيرة، فأحياناً أراه صغيراً كنملة تسير على ظهر فيل، وفي اليوم التالي أراه كالفيّل!

في اليوم الذي يكون فيه صغيراً كالنملة فإنني أنماشا وأنعائش معها، فأنهض من سريري وهي نائمة إلى جانبي، وأتناول طعامي على المائدة إلى جانبها، ثم أخرج من بيتي برفقة هذه النملة متجها نحو عملي، وأثناء مرافقتي لها نتبادل أطراف الحوار، فتارة نضحك وأخرى نبكي، وتارة نتفكر وأخرى يضر بنا الجنون، نفعل كل شيء معاً، حتى أعود منهكاً إلى سريري وأنام بجانبها.

في اليوم التالي عندما أستيقظ من نومي أرى فيلاً ينام فوقي -لقد تحولت هذه النملة إلى فيل عملاق يجلس فوقي ويكتم أنفاسي- وعندما تتحول هذه النملة على هيئة هذا الفيّل الضخم والكبير فإنني لا أستطيع النهوض من على سريري -لأنه ينام فوقي- وبيدي ضعيفة ولا تقوى على دفع هذا الفيّل المتربع فوق جثتي، وقدماي لا تقويان على حملي، فأتظاهر بالموت في هذا اليوم، لعلّ هذا الفيّل يرأف بحالي ويشفق علي، علّه يدعني أنهض من على سريري.

وعندما يغادرني هذا الفيّل الجاثم على صدري، وينطلق شهيري أسأل نفسي هذا السؤال: "هل أنا السبب في إكتئابي؟ أم أن الإنسان هو السبب؟".

إكتئابي جعل الأيام البيضاء سوداء في عيني، فأنا أشاهد العالم عبر نافذة زجاجية قذرة وعريضة، وأرى الناس من خلالها كما وكأنني أشاهد فيلماً سينمائياً أحبك ضبطه بإحكام، الصوت يأخذ وقتاً عندما أسمعها، والصورة تأخذ عمراً عندما أراها، وعندما أراها أسأل نفسي نفس السؤال: هل أنا السبب في إكتئابي؟ أم أن الناس هم السبب؟

إكتئابي جعل المسجد في عيني قبراً مخيفاً، وجعل الجنة في عيني ناراً تحرق رغيماً، وعندما تبخر الرغيف سألت نفسي نفس السؤال: هل أنا السبب في إكتئابي؟ أم أن المشايخ هم السبب؟

إكتئابي جعلني أفتش عن من كانوا يدعون أنهم أصدقائي وأصحابي وأحبابي، من أعطوني يداً تُسبح، وبالأخرى خنجراً ليذبح، وعندما ذبحوا فؤادي سألت نفسي نفس السؤال: هل أنا السبب في إكتئابي؟ أم أن أصحابي وأحبابي هم السبب؟

إكتئابي أرغمني أن أغادر عملي الذي أحببت بسبب الذين أكلوا الكراسي وبلعوها، الذين هدموا المهنيّة وحرقوها، وعندما أصبحت رماداً سألت نفسي نفس السؤال: هل أنا السبب في إكتئابي؟ أم أن أرباب العمل هم السبب؟

أيها العالم.... هل أنا السبب في إكتئابي؟ أم أن العالم هو السبب؟ وقبل أن يختم جسدي رحلته، هل سيقف الإكتئاب على جثتي، أم أنني أنا من سيقف فوق جثته؟!

هذه كانت قصتي باختصار مع هذا الفيل العملاق، وإنني أعتقد أنه لا يوجد أي وسيلة للنجاة منه سوى العودة إلى حظيرة الإيمان بالله وبفضائه وقدره خيره وشره، فقد قال تعالى: وأنه هو أضحك وأبكى (الاية 43 من سورة النجم).

في النهاية:

نحن لسنا مرضى نفسيين، نحن ضحايا لمرضى نفسيين...

فصصن خبالبه

من وحمى خبالبه

صوتي أقوى

هل سبق وأن شعرت بشعور غريب لا يمكن أن تتحدث به مع أحد، أو أن تصفه لبشر؟ هل أتاك صوت يخبرك بهذه المشاعر ولم تستطع السيطرة عليه والبوح به لأي كان؟ هل يمكن أن تسميها أصلاً -مشاعر- أم أنها شيء آخر!

سأله أحدهم: "هل تربيت في منزل عائلة متدينة أم ملحدة أم شاذة؟"، فأجاب: "لقد تربيت على ظهر جبل، كان الرب يمسك بيدي كي لا أسقط، وكان الشيطان ينتظرنني أن أسقط، وكان صوتي يسافر بينهما وإذا به فجأة يقذفني نحو تلك الحرب".

لقد اندلعت حرب محلية شعواء في إحدى الدول، وعجز عن اطفائها الجيش والسياسيين والمسؤولين، وكان هناك رجل اسود البشر ذو صوت جميل، اراد ان يطفئها بصوته، فصار يغني للّمْ الشَّمْل فيها، فبعث خلفه سياسي وسأله: "كيف ستخدم نار حرب وتوحد الشعب بصوتك، وقد عجزت الشرطة والامن والجيش والحكومة والرئيس على إخمادها؟"، فأجاب المغني الاسود: "كل حكومة على وجه الأرض غير شرعية، وحكومتنا إحدى هذه الحكومات الغير شرعية، ولهذا السبب لن تسمع الناس لصوت الحكومة والسياسة، وستستمع لصوتي أنا -المغني الأسود- لأنني أعتقد أن صوتي باستطاعته اخماد حرب لا يمكن لأي سلاح في العالم أن يشعلها، وبينما يكون كل حزب وفصيل مشغول بكيفية قتله للآخر وتحطيم الوطن، سأكون أنا حينها على أنقاضه أغني لوحدة هذا الوطن".

فنجان قهوة

كانت هناك فتاة يتيممة بالثلاثينيات من العمر تقيم في غرفة تابعة لإحدى الفنادق الرديئة، أحكم الزمان قبضته على أنفاسها واشتد عليها الحال، حيث تلقت خبر فصلها من العمل، ومع مرور الوقت أخذ الفقر ينهش في وجدانها أكثر وأكثر، ويوم وراء يوم.

والدها كان رساما مشهوراً، ولكنه كان يعاني من مرض نادر وخطير، وكان قد أهدى ابنته لوحة من لوحاته كتذكرا وهي طفلة صغيرة، ووضعها أمانة لدى والدتها، وأوصاها في حال موته أن تُبَلِّغ الأمانة لطفلته تعبيراً له عن حبه لها.

تراكم عليها آجار الغرفة، وكانت تفكر في حلّ كي تدفع المبالغ المتراكمة عليها لكي لا ينتهي بها الحال مشرّدة في شوارع المدينة وفريسة لكلابها.

فكرت هذه الفتاة كثيراً، ولكن لم يكن أمامها أي خيار سوى بيع اللوحة التي أهداها آياها والدها، فاضطرت إلى عرضها للبيع، وعند اعلان المزاد حولها كانت تبكي، فلمح ذلك رجل يجلس في الشق المحاذي لها، وادرك أنها تبكي لوحتها، فما لبث إلا أن قام من على كرسيه وجلس بجانبها محاولاً التخفيف عنها.

أعلن المزاد، وبدأت الأيادي تلوح فوق متون سماء هذه القاعة، كانت الشابة تتوقع أن يشتريها هذا الرجل الذي جلس بجانبها، ولكنه لم يفعل ذلك، وتم بيعها بعشرة آلاف دولار، وعند قرع الطاولة وإعلان اسم المشتري، التفت هذا الرجل إلى الفتاة المحزونة حينما بيعت لوحتها وقال لها: لم أستطع أن اشتري لك لوحتك لأنني فقير، لكنني أستطيع أن اشتري لك كوباً من القهوة.

الكلب الصهيوني

في ليلة سوداء تحت ضي القمر اجتمع كلب بفأر ودار بينهم الحوار التالي-

قال الكلب للفأر: "أتعلم أننا أصدقاء؟"، فرد عليه الفأر: "وكيف ذلك؟! ولم يحدث ولو لمرة واحدة في التاريخ أن كلباً يصاحب ويداعب فأراً سوى في المسلسلات الكرتونية -توم وجيري- فقط!"، فنكأ الكلب الفأر بخاصرته وأجابه: "أنا كلب مختلف، لقد اختارني واصطفاني الله في هذه الخصيصة"، فرد عليه الفأر بدهشة: "الله اصطفاك!! وفي أي شيء اصطفاك الله؟"، فانحنى الكلب بجذعه وهمس بأذن الفأر قائلاً: "أنا كلب صهيوني".

في هذه اللحظة انتشت علامات الخوف والسؤال على سحنة الفأر، حتى أنّ القمر فوقهم تعجّب وخفت نوره!

أكمل الكلب يقول: "أنا كلب صهيوني، لدي قطيعي الخاص الذي يمثل لي ولأوامري، وأنت فأر مكر ذو نزعات تخريبية، وأنا أحتاج إلى مكرك وخبثك، وفي المقابل سأجعلك وزيرا لدي"، وافق الفأر فوراً على هذا العرض، وصار كالكلب يحوم حول أرجل الكلب الصهيوني، ثم طأطأ رأسه بينهما.

نقر الكلب الصهيوني الفأر على رأسه، وختم حديثه معه بهذه الكلمات: "أرأيت أننا أصدقاء، نحن عائلة واحدة... نحن حيوانات".

قانوني أنا

اجتمع مسؤولان من الطراز الرفيع -أحدهم أمريكي والآخر إسرائيلي- في إحدى المطاعم النائية للبحث في مسألة كيف للمحارث أن تصبح أسلحة وكيف للمناجل أن تصبح رصاصاً.

جلسوا على طاولة متطرفة قليلاً، وراحوا يحتسون الخمر ويدرسون مسألة تسليح قرية بدائية سكانها يشبهون طرزان، وجرى بينهم الحوار التالي:

قال الأمريكي للإسرائيلي: "ليس من الأخلاق إعطاء الأسلحة لهؤلاء البدائيين والمساكين؟! إنهم ليس لديهم تاريخ أو معرفة بالتكنولوجيا أو حتى أي خبرة في استعمالها؟"، فأجابه الإسرائيلي: "إن المجتمع الخاص بهم سينظم المسألة في نهاية المطاف.. لا تقلق"، فرد الأمريكي: "عن أي مجتمع تتحدث؟ لن يتبقى منهم أي أحد على قيد الحياة"، فرد الإسرائيلي: "إنهم أصلاً ليسوا على قيد الحياة، انظر إلى أشكالهم ولباسهم ومساكنهم، كلها غريبة وعجيبة، انظر إلى حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم والتي لم يسمع بها أحد أو يراها أي شخص في هذه المجرة! إن البقاء للأقوى يا صديقي، هكذا يسير للعالم"، رد الأمريكي: "نعم.. إنه قانون الطبيعة القاسي"، فنظر إليه الإسرائيلي نظرة رخوة، ثم ابتسم في وجهه ابتسامة باردة وقال له: "إشرب كأس الخمرة هذا وانسى لعلك تستيقظ من حماقتك، إنه ليس قانون الطبيعة، إنه قانوني أنا".

أنا الحرامي

في إحدى الفنادق يقيم شاب بالثلاثينات من العمر، رفع هذا الشاب سماعة الهاتف واتصل بمركز الشرطة، فرد عليه الضابط وقال له: "من معي؟"، فأجاب هذا الشاب: "أنا الحرامي"، فرد الشرطي: "أي حرامي؟"، فرد الشاب: "أنا الحرامي الذي تبحثون عنه، أنا من سرق العشرة بنوك قبل إحدى عشرة سنة مضت".

ضحك ضابط الشرطة حتى سقط عن كرسيه، ثم قام بتشغيل مكبر الصوت، فسمع القسم بأكمله مكالمة الحرامي، وأخذوا الموضوع باستهزاء وليس على محمل الجد.

تحدث الحرامي بنبرة حادة: "لم تضحكون؟"، فرد الضابط: "هل أنت جاد؟"، فقال له الحرامي: "نعم، وسأسلم لنيافتك المبلغ كاملاً -80 مليون دولار- وسألم نفسي، ولكن بشرطين"، فرد الضابط مُتَعَجِّباً: "وما هما"، فرد الحرامي: "الأول هو أن أسجن لمدة سنتين فقط، والثاني أن تسمحوا للناس بزيارتي".

تملك الإندهاش قسم الشرطة بأكمله بما فيهم الضابط، وسأل الحرامي: "وما الذي يدفعك لكي تسلم الأموال وتزج بنفسك خلف القضبان، ونحن لا نعلم أدنى معلومة عنك، وبإمكانك الهرب بهذا المبلغ الكبير والتمتع به حتى آخر يوم في عمرك؟!"، فأجاب الحرامي: "إنها امرأة"، فذهل الجميع! وردّ الضابط: "لا بد أنها امرأة تستحق هذه التضحية، هل تحبها إلى هذا الحد؟!"، فرد الشاب: "نعم، أعشقها".

تنحى الضابط بعدها وقال: "هل هذا جواب نهائي؟!"، فرد الحرامي: "نعم، لقد عاهدتني أن تكون لي إن فعلت ذلك، وسأفعل ذلك ولكن على شرط أن تسمحوا لها بزيارتي، وأن أسجن لعامين فقط كي أكمل ما تبقى من عمري معها"، فأجاب الضابط: "لك ذلك".

ومضى العامين دون أن تتفقد الفتاة هذا الشاب، أو أن تسأل عنه، ولم تأتي لزيارته كما وعدته، وعند انقضاء فترة المحكومية خرج من السجن كالمجنون يبحث عنها، ولكن كانت كما وكأنها حلم تبخر من هذه الحياة.

نادلة المطعم

ذات يوم وقفت سيارة فاخرة بإزاء مطعم للوجبات السريعة، وكان خلفه طابور من الزبائن الذين يستقلون مركباتهم لطلب وجباتهم، كانت إحدى خدمات هذا المطعم أنه يقدم الوجبة للزبون دون أن يترجل من مركبته من خلال نادلة المطعم، وكانت فتاة تبلغ من العمر 15 عاماً.

طلب هذا الزبون وجبته وانتظر بمركبته، فجاءته نادلة المطعم مسرعة وهي تبتسم بطلبه، وكان ساندويش همبرغر وكيس بطاطا صغير وكوب من العصير.

ارتشف هذا الزبون من عصيره فوجده دافئاً وليس بارداً، فما كان منه سوى أنه دلف العصير في وجه النادلة وألقى الساندويش والبطاطا على ثيابها، وراح يصفعها بالكلمات.

لم تبدي هذه النادلة أي ردّة فعل سوى أنها ظلّت تبتسم في وجه هذا الزبون وتعتذر له، وأخذت تزيل الطعام المتناثر من على ملابسها، في المقابل أخذ هذا الزبون يرفع من وتيرة صوته حتى الصراخ، ثم بصق عليها وغادر المكان.

شاهد طابور الزبائن بأكمله هذا الموقف..

تقدّمت المركبة التي تليها، وكان زبونا آخر يريد أن يطلب وجبته، فاستقبلته هذه النادلة وهي تبتسم وفي عينها دمع راقد يحاول أن ينزلق غصباً على خدّها، ولكنها منعت ذلك، وظلت تبتسم في وجه هذا الزبون وتنظف ثيابها، ثم سألته: "ماذا تطلب يا سيدي؟"، ولكنه ظلّ واجماً ولم يطلب أي شيء، وإنما مكث وقتاً قصيراً وهو ينظر إليها، ثم سألتها: "لماذا فعل هذا؟ إنه شخص عديم الأخلاق!"، فأجابته وهي تبتسم: "أنا معتادة على هذا الصنف من الزبائن، لا تقلق، ماذا تطلب يا سيدي؟"، فرد عليها: "كيف صبرت هذا التصرف؟ وما الذي يجبرك على الإستمرار في هذا العمل وأن تتحملي هؤلاء الحيوانات؟"، فأجابته: "أنا مشرّدة يا سيدي، ولا يوجد لي فرصة أخرى للعمل في أي مكان آخر سوى في هذا المطعم".

فأخرج هذا الرجل من جيبه 100 دولار وقال لها: "إقبلي هذا المبلغ مني"، فقالت له: "إنك لا تعلم ماذا تصنع وتغير هذه ال 100 دولار في حياتي، ولكن لماذا تجود بها علي؟ هل هي شفقة على حالي، أم تصبير لي لما حدث؟"، فأجابها: "لقد منحنتي درساً مجاناً في هذه الحياة لم أخبره في كل المدارس والجامعات والمقررات التي طالعتها!"، فقال له النادلة: "وما هو؟"، فأجابها: "الصبر".

نقود الشحاد

كنت أعمل كمراسل في إحدى المولات الكبيرة، لا أخفيكم أن دخلي محدود، وفي معظمه أشتري الخمر وأتعاطى المخدرات، ولكني كنت كأى شاب أحلم بالإرتباط بإحدى الفتيات الجميلات.

كنت في وقت استراحتي أراقب الفتيات اللواتي يدخلن ويخرجن من المول وكأنهن عارضات أزياء، الشقراء والحمراء والسوداء، السمينة والرفيعة، المشدودة والمربوعة، أرسل نظري بين جذوعهن وقوامهن، وإذا بهذه الحسناء تفتح الباب، وما أن نظرت إليها حتى سرقت قلبي، وقلبت كياني رأساً على عقب، فتتبعت خطواتها حتى علمت مسكنها.

عند حلول الليل جلست في صالة منزلي كي ألق الحشيش، ثم شربته، وفي غضون دقائق قفز بي الى وجهها، وتخيلت نفسي برفقتها، وأمسك يدها، كانت لحظات جميلة.. وبعد انتهاء مفعول الحشيش وعودة عقلي لي قلت لنفسي: "لا بد أن أصل إليها".

كانت تتردد كثيراً على المول الذي أعمل به، وفي إحدى الأيام حضرت كعادتها، فابتسمت في وجهها دون وعي مني، وتجرات واقتربت منها، فبادلتني الابتسامة وكسرت المسافة هي الأخرى، وتحدثنا معاً، وانتهت هذه اللحظة بحصولي على رقم محمولها.

تحدثنا في الليل معاً، وتعرفنا على بعضنا أكثر، وأخبرتني المزيد والمزيد، ومن جملة ما أخبرتني به أنها لا يمكن أن ترتبط بمتعاطي، فسألتنني: "هل تشرب المخدرات؟"، فقلت لها: "طبعاً لا، فهي مضرة بالصحة"، فسرت جداً بجوابي، ومدحتني، وكانت هذه فرصتي اني علمت انها -عزباء- وهذه خطوة إيجابية لكي أخرج معها في موعد، اما السلبية هي انني أتعاطى المخدرات!

طلبت منها في ذات يوم أن نخرج في موعد، فوافقته، وهذا أسعدني، أما الذي أحزنني أنني صرفت معظم نقودي على الحشيش! ولم يتبقى معي سوى دولارين، فقلت في نفسي: "ستفرج".

خرجنا معاً، وعند اقترابنا من إحدى البسطات لتناول البوظة كان هناك شحاد -متسول- يمد بكأس فيه بعض النقود نحوي لكي أتصدق عليه، فقلت في نفسي: "هذه فرصتي"، فأخرجت من جيبي الدولارين، ومددتها نحو كأس الشحاد، ووضعها بداخله وأخرجت عشرون دولار عندما سحبت يدي بدلاً منها دون أن ينتبه المسكين.. وظل يدعو لي!

عزمت هذه الفتاة الجميلة على حسابي، واشترت لي ولها البوظة بنقود الشحاد، وأثناء تناولنا لها نظرت الي هذه المحبوبة بفخر وقالت لي: "كم هذا جميل، أنت لا تتعاطى المخدرات، بالإضافة الى أنك شخص كريم وإنساني، يبدو أن اليوم من باكورته سيكون جميل، ويبدو أننا سنتقدم خطوة في علاقتنا، هل أنت موافق؟"، فأجبتها: "نعم بالتأكيد".

فتاه على الرّصيف

في إحدى الأيام مضى رجل إلى السوق، وأثناء تجواله لاحظ هذا الرّجل وجود فتاة في الثلاثينيات تجلس على مقعد خشبي في الشارع بثيابها الرثة ولونها الشاحب وكأن الدنيا قد أكلتها، فرقّ وحبب قلبه لحالتها، فجعل يسارقها النّظر، ولما نظر إليها مباشرة بادلتها النّظرات بعينها المكسورة والدموعة، وإبتسامتها الخفيفة والهادئة والحزينة، فقصدها وجنّح نحوها، ووقف أمامها وسألها: "ألك حاجة؟"، طأطأت رأسها وقالت له هامسة: "لم أذق الطعام منذ 3 أيام، وأنام على هذا المقعد الخشبي من أسبوع".

أشفق على حالها هذا الرّجل، وأخذ من جيبه بعض المال، ومدّ به لها، ولكن العجيب أنّها رفضت، فألّح عليها أن تأخذ المال وأن تشتري لها بعض الطعام والحاجيات، وبعد محاولات عديدة أخذته، وشكرته بإفاضة، وإنطلقت.

جعل الرجل يراقبها ويسير خلفها خلسة، ولكن المثير في القصة أنّها لم تشتري لنفسها طعاماً ولا شراباً -ولا أي شيء- وإنما سعت إلى محل لبيع الكلاب.

كان ينظر إليها هذا الرجل بإستغراب وإستعجاب ويحدث نفسه: "ما هذه الفتاه الغريبة؟!".

إشترت هذه الفتاة بكلّ المال الذي أعطاها إياه هذا الرّجل كلب أبيض جميل، وهُنا جنّ الرجل، واستفاض غضباً، وقال لنفسه: "لقد استغفنتني هذه الفتاة"، ركض نحوها، وقال لها: "لماذا إشتريت بالمال هذا الكلب؟ لماذا لم تبتاعي لك طعاماً أو لباساً يسترِك من حرّ الشمس وبرد اللّيل؟".

فأجابته: "كلّ ما أريده يا سيّدي في هذه الحياة صديق أحدثّه، صديق يسمعني ويصغي إليّ، صديق أبوح له بكلّ أشجائي وأحزاني، صديق أبكي على كتفه وأحتمي تحت جناحه، صديق يرافقني مراحل حياتي ومطبات عمري، عمري الذي ألقاه والدي في الشارع، وهتكه حبيبي باسم الحب، وطعنه أصدقائي وزملائي باسم المصلحة"، ثم وضعت يدها بيد الرجل وقالت: "إن هذا الكلب يا سيّدي -حيوان- ولكنه أرق وأرحم من الإنسان بالإنسان".

مدير الشركة

كنت قد قابلت على وظيفة في إحدى الشركات المرموقة والتي لها وزنها ليس على الصعيد المحلي وإنما العالمي، وكان دخل هذا الموقع الذي أقدمت عليه 2000 يورو شهرياً، انعقدت اللجنة ولم يكن فيها سوى رجل واحد فقط، وهو مدير الشركة شخصياً، جلس قبلي على الطاولة وظل ينظر إلي لقراءة نصف ساعة، ولم يسألني أي سؤال، وقبل انتهاء المقابلة تكلم المدير وسألني سؤال واحد فقط، وهو: "لو أنني طلبت منك أي طلب هل ستقوم به؟"، فجاوبته فوراً: "نعم" -الراتب يستحق- فقال لي: "مبروك، الوظيفة لك".

نهضت كالمقروص، هذا هو! بهذه البساطة! سؤال واحد فقط وسأحصل على 2000 يورو شهرياً! فسألته: "متى أبدأ"، فأجابني المدير: "الآن"، أمطرته بالأدعية من فرحتي، فربت على كتفي وقال لي: "لا تفرح كثيراً".

وقعت على عقد العمل، وشرعت به، وكنت أقوم بكل ما يطلبه مني -أعمال مكتبية في مجال تخصصي وأخرى لا علاقة لي بها- كأن أحضر له فنجان القهوة الى المكتب مثلاً، وأن أفتح له باب سيارته، وأن أوصل طلباته لمنزله بمركبتي، وأن أجلس مع أطفاله حينما يريد أن يخرج هو وزوجته لإحدى المراقص والملاهي، حتى وصل الأمر بي إلى أن أنظف حذائه قبل أن يلبسه.

لا أنكر أن هذا المدير كان يحبني جداً، وكان يمنحني زيادة إضافة إلى راتبي الشهري، ولكني كنت أشعر أنني عبد لديه، وفي يوم من الأيام وأنا في طريقي نحو العمل، تعرضت للضرب العنيف من قبل لصوص الطريق حتى أغشي علي، وسرقوا كل ما في جعبتي.

حملني أحد المارة للمشفى، وخضعت للعلاج حتى تشافيت، وعندما عدت الى العمل شرحت لمديري ما حدث، فقال لي: "هل رأيت وجه أي أحد منهم؟"، فقلت له: "نعم"، فقال لي: "وكيف هو"، فوصفته له.

وبعد بضعت أيام ذهبت للعمل كعادتي، وعندما وصلت وإذا بالمدير يستقبلني وهو يبتسم، ويقول لي: "وجدته"، قلت له: "من؟"، قال: "الذي ضربك وسرقك"، قلت له: "جميل، شكراً، هيا نبلغ الشرطة"، فقال لي: "كلا، ستأخذ حقك بيدك"، فقلت له: "وكيف؟"، فقال لي: "اتفقت مع رجالي استدراجه الى المكان الذي ضربك وسطى عليك فيه لتأخذ حقك منه هناك"، فقلت له: "مستحيل، لا يمكن أن أفعل هذا!!"، فقال لي: "يجب عليك فعل ذلك، وهذا ليس خيار، ولا تنسى أنك عندما مضيت على عقد العمل كان أحد بنوده أن تفعل كل ما أمليه عليك وأطلبه منك"، فقلت له: "نعم، أنا وافقت على كل ما تطلبه مني، ولكن ليس أن أسرق وأضرب!!"، فقال لي: "بني.. إن لم تفعل ذلك سأفعل أنا بك ذلك".

بعد مرور عشرون عاماً على فعلتي، أنا اليوم رئيس عصابة ومن كبار التجار في المدينة.

في الثالثة والتسعون

كنت صغيرة، وكان أمام بيتنا باحة خضراء تفوح منها رائحة العطر والياسمين، حديقتي فيها تحضن أزهارى، والعصافير حولها تسكن أشجاري، وأصوات الموسيقى الجميلة تنبعث من بيوت جيراني، وقصص أهلي ومغامراتهم التي لا تنتهي، الجميع كانوا هنا معي وجنبي وحولي.

زوجي كان هنا أيضاً، كم كنت أحبّه، لأنّه كان يشعرني بأنّي شمسه وقمره ووطنه وموطنه، كان لا يرى العالم من حولنا لأنّه يراني العالم بأسره، كُنّا أجمل عصفورين، نظير معاً ونحلق في متون السماء، تشاركنا قهوتنا، وبنينا منزلنا، كان كل شيء جميل في البداية حتى ابتلعت الأرض زوجي ومات، وترك لي حصيلة من الذكريات.

بعد سنوات من زواجنا خرج زوجي من البيت ليذهب للعمل، ولم نكن نعلم ما يخفيه القدر لنا، أثناء عمله حصل شجار بين زميليه، فذهب لكي يُنهي المشكلة القائمة بينهما، ولكن الخلاف إحتد فقام أحدهما بإطلاق النار، فقتلت هذه الرّصاصة زوجي!

رحل زوجي دون مقدّمات، ودون أن يودّعني، ودون أن يخبرني ماذا أفعل في سنوات عمري المتبقية لوحدي من غيره.

أنا الآن في الثالثة والتسعون من العمر، أنظر من نافذتي الى باحتي التي انحنى ظهرها وشابت وأصبحت شاحبة الوجه، حيث اصفرّت حديقتي وانطفأت أزهارى، وغادرت العصافير أشجاري، وانقطع صوت الموسيقى من بيت جاري.

في الثالثة والتسعون من العمر قد يرمي بك الزّمن لتكون وحيداً، ولكن المؤكّد أنّ هناك العديد من الذّكريات التي لن تتركك وحدك، وستتهاوى في عقلك كما ندفات الثلج التي تسقط من السماء في فصل الشتاء.

ولكنّي صدقاً لا أعلم هل هذه الذّكريات من الجميل أنّها بجانبني في أرذل العمر، أم أنّها عذاب من نوع آخر!؟

أن تعيش مسنّاً وحيداً في زمن تتبدّل ألوانه يوماً بعد يوم، وتتغيّر معالمه وتضاريسه، فلا الزّمان زمانك، ولا الأماكن هي تلك التي كنت تعرفها، وجميع من تعرفهم قد غادروا الحياة!!

منذ مدّة طويلة لم يطرق بابي أي زائر أو أي سائل، إنتظرت زمناً بعيداً لكي يقرع أحدهم بابي، وفجأة دخل علي زائر دون أن يطرق الباب! سألته وأنا أنتفض: "من أنت؟"، ولكنّه لم يجيب، فأدركت أنّه ذلك الضيف الذي إنتظرته طويلاً، فقلت له: "لماذا جعلتني أنتظر كل هذه المدّة؟"، فابتسم في وجهي، وأمسك بيدي، وطرنا معاً.

قبلة أورفيوس وأوريديس

قال لي أحد المتابعين: "أخبرني قصة يا محمد نبيل كبتها"، فقل له: "وأى قصة؟"، فقال لي: "أخبرني قصة نهايتها سعيدة"، فقلت له: "ليس هناك قصة نهايتها سعيدة"، ثم تنهدت ورفعت رأسي إلى السماء وأردفت: "كل القصص حزينة، وبالذات تلك التي تكون بدايتها سعيدة".

فردّ على هذا الشاب وقال لي: "إنّ، أخبرني قصة بدايتها سعيدة وأوقفها في المنتصف"، فكّرت في قصة ثم قصصت عليه هذه الحكاية الخيالية:

كان يا مكان، في بقعة على ظهر هذا المركب الأزرق الذي يعوم داخل ذلك السائل فوقنا، لم تكن الأسماك والحيتان تسبح، ولا العصافير تزقزق، ولا الأرنب يقفز، ولا الكلب ينبج، الكائنات الحية فقدت خصائصها وأصواتها، حيث كان عالماً آخر لا يُشبه عالمنا.

كانوا يتأهبون لحضور حفل زفاف كانت فيه قبلة على وشك الانفجار "قبلة أورفيوس و أوريديس".

أدرت بجذعي نحو هذا الشاب وسألته: "أتعرف من هم أورفيوس و أوريديس؟"، فأجابني: "لا"، فقلت له: "أورفيوس كان شاباً ذكياً، و أوريديس كانت شابة فاتنة الجمال، وقع فؤادهما في الغرام، وانتهت العلاقة بالزواج".

انتفض الشاب وقال لي: "هكذا فقط! انتهت القصة قبل أن تبدأ! ما هذه القصة؟!"، فقلت له: "رويداً رويداً، نحن في الجزء الأول منها".

انتقلت للجزء الثاني منها، وأكملت أقول: "كانت قصة حبهما لا في الخيال ولا في الأساطير، ولا يوجد هناك وصف لحالة الهيام التي كانت تُغلفهم حتى توقّيت أوريديس"، فقاطعني هذا الشاب على عجلة وقال لي: "هذه قصة حزينة!"، فقلت له: "حلمك يا أخي، إنتظر، تمهّل، فأنا لم أصل إلى المنتصف بعد".

تلبّك هذا الشاب وقال لي: "حسناً، أكمل"، فتابعت: "دخل أورفيوس في حالة حزن شديدة على وفاة زوجته -أوريديس- انتهت به الى الوقوع في مصيدة الإكتئاب، فتوقع على نفسه، واختلطت عليه الأفكار، حتى سمع ذلك النداء الصاعد من الأسفل الذي يخبره -لوسيفر بانتظارك كي يعيد زوجتك للحياة- وتكرّر هذا النداء أكثر من مرّة، حتى اعتقد به أورفيوس.

قرّر أن يهبط إلى الجحيم ليتوسل -لوسيفر- كي يعيدها إلى الحياة، وبعد توسّله وتقديم التنازلات والسجود له وافق -لوسيفر- ولكن بشرط، وهو أن يبيع أورفيوس روحه له، فوافق أورفيوس، وعقد صفقته مع لوسيفر، فأطلق لوسيفر في المقابل زوجة أورفيوس -أوريديس- للحياة.

لم تسعُ الفرحة وهي تتنفس أمامه، وأمسك بيدها، وطار الزوجين معاً من الجحيم حتى هبطوا على صحن الأرض، ومن هنا بدأت رحلة إغواء ووسوسة الإنسان للإنسان من خلف هذه القبلة، حيث أنجز لوسيفر المهمة من خلالهما على الأرض دون أي تعب أو مجهود، أو حتى أن يكلف نفسه عناء الصعود إلى الأرض لإنجاز المهمة، فقد أنجزها أورفيوس و أوريديس على أكمل وجه، وجيَّشوا أسراباً من أبناء جنسهما، فاحذر أن تكون من بينهما أيها الشاب وأنت لا تعلم".

نيل في الطريق

18+

لقد تذوق طعم الدم في كل العالم، لكن دم -المسلم- كان المفضل إليه طبعاً.

قبل قرن من الزمن وفي مكتبة ولد "نيل"، ولأول مرة في التاريخ يحدث أن تكون القابلة ذكراً وليست أنثى، فقد كانت يد "أرفور" السبب بجلبه إلى هذا العالم.

كبر "نيل" وأصبح ضابطاً كبيراً في الجيش، ولكنه كان نرجسي وسيكوباتي ملعون، يحب أن يرى أحكام الإعدام وألوانها -تجرّع السم، الكرسي الكهربائي، الخازوق، الطهي في الصندوق الحديدي، الشنق، الحقنة المميّنة، الرمي بالرصاص، الخنق، الغاز الخامل، ولكن الألد كان بالنسبة له هو قطع الرؤوس.

في الصباح تفوح منه رائحة الدين، أما في الليل تفوح منه رائحة النبيذ..

عندما يُسدل الليل أستاره على هذا الكوكب كان يظهر بوجه دميم آخر، حيث كان يذهب الى الحانات والبارات لينهل من الخمر حتى يسكر، ثم يلاحق النساء وبائعات الهوى في الملاهي والطرقات ويداعبن ويتحرش بهن، حتى تقبل به احداهن، فيصحبها الى منزله ويقوم بضربها أولاً حتى يُعييها الألم وتخور قواها ثم يضاجعها..

في كل ليلة عندما يستلقي القمر في حضن السماء كانت تستلقي إحداهن في حضنه الموحش والبارد.

وفي احد الايام قام بتعذيب احدى بائعات الهوى، حيث قيّد يديها في رأسية السرير، وكبّل أقدامها في نهايته، وأخذ يضربها بسياط مصنوع من الجلد حتى أحدث كدمات على ظهرها، ثم صعد فوقها وراح يلكمها على وجهها حتى انفجرت الدماء من كل مكان فيه، كانت تصرخ وتبكي وتستغيث حتى ماتت، إلا أنه لم يكثر، بل قام بتذوق وابتلاع دمائها التي تقطر منها.

عرف الجميع قصة بائعة الهوى التي ماتت بين يديه تحت التعذيب، وذاع صيته النجس أرجاء المنطقة.

علمت بائعات الهوى الوجه الحقيقي لنيل، فصاروا يتحاشونه ويتجنّبونه، وفي إحدى الليالي ثمل نيل حتى فقد السيطرة على نفسه في رغبته بإحدى الفتيات المراهقات، إلا أنها رفضته، فقام بضربها بعضى من حديد حتى قتلها، ثم حملها واتجه بها نحو منزله، وعندما وصل وضعها فوق مائدة الطعام، ثم قطعها، وغلفها ووضعها في قلب ثلاجته، أما عن دمائها فقد سكبها في أواني، وكان يشرب منه وقت السحر بصحبة أرفور.

ئيل كان لقيطاً، وكان غير محبوب ولا مرغوب به، ولم يكن له أي صديق سوى القابل -آرفور- الذي جاء به الى هذا العالم، يراه بمكانة الأب، بل أكثر من ذلك، فقد كان -آرفور- بمثابة الجدار الذي يستند عليه ئيل وقت المِحْن.

وفي احدى الأيام مات آرفور، فغضب ئيل على موته غضباً شديداً، وأثناء جنازته قام بقطع رأس الحاخام الذي تلا الصلوات عليه في الكنيسة، ثم أخذ رأسه وذهب به إلى قبر الفتاة التي ضاعها وقتلها، فاستخرج جثتها وقطع رأسها واستبدله برأس الحاخام.

ثم قرر بعدها أن يغزوا العالم بأسره، وبدأت رحله في التفريق بين الناس، وتخريب الأوطان، وسفك دماء النساء والشيوخ والأطفال والرجال والرضع.

الأخيار والجدار

قبل ١٠٠ عام سقط العالم في الهاوية، وظهر الفساد في البر والبحر والجو، وكأنه قمامة منتنة وقبيحة المنظر -إجرام وسرقة وقتل واغتصاب وظلم وفقر- فوضى عمت العالم وأصبح في حالة يرثى لها.

عُدمت المباني والبيوت، وانتهت التكنولوجيا والطاقة، وشح الطعام والشراب، ومزقت الكتب السماوية ورُفع الدين، وتقلص عدد السكّان من حول العالم، ولم يتبقى إلا القليل منهم، وهؤلاء القلة إنقسموا إلى قسمين: الأخيار والأشرار.

دارت المعركة بين الفريقين على البقاء، فاقترح أحد الأخيار بناء جدار للحفاظ على من تبقى منهم، وهبوا برفع أعمدة عالية البهاء من حولهم، ونصبوا الجدار ليقبضهم من مناجل وأسهم وسيوف الأشرار.

كان هناك إيمان وقانون يضبط الإنسان داخل هذا الجدار، فمن رضي بقي في الداخل، ومن سخط ألقى بالخارج -الصالح يبقى داخل الجدار والطالح يرمى خارجه- وبعد عناء طويل تم غريلة الجميع وإلقاء المجرمين والفاسقين والقتلة خارج الجدار، فلا يمكن في يوم من الأيام أن تصبح اليومة حمامة.

أما المشهد في الخارج فقد ثوت على مائدته الفاحشة والبهيمية، حيث كان هناك رصيف للمتعاطين، ورصيف للمدمنين، ورصيف للزناة، ورصيف للمجانين، ورصيف للكفرة والملحدين، أرصفة عديدة مُعنونة لكل مجموعة.

وكان هناك شخص مفصوم -طيب وشرير في ذات الوقت- يعرف كل القصص التي تجري خلف الجدار وخارجه، كانت وظيفته هي توصيل الطلبات بينهم دون أن يُسمح له بالدخول داخل الجدار، خوفاً من أن تكون عدوى الشر قد نقلت له من قبل الأشرار، ففي الخارج لا يرى سوى الدماء والقاذورات وبقايا الطعام المنتهي الصلاحية.

وفي يوم من الأيام تمت دعوته للدخول داخل الجدار، كي يقدموا اللباس والطعام له لإيصاله للأشرار بالخارج، فدخل ورأى الجنة هناك -العطور الفخمة، والطعام الكثير، واللباس الفاخر، والمياه النظيفة- والأهم من ذلك كله -الناس- كانوا على دين وأخلاق وفي قمة الصلاح والتقوى، حيث لمس كل أوجه الإحترام والإهتمام من قبلهم.

ولكن الشيطان لا ينفك عن إزعاجه للإنسان، فقام بزرع أفكاره السامة في دماغ هذا الشخص المفصوم من أجل السيطرة على المكان.

وبالفعل، في منتصف الليل تسلل خلسة وفتح باب الجدار للأشرار، والذين اقتحموا بدورهم المكان كالزومبي، وخرّبوا ودمّروا كل شيء.

وفي النهاية لم يتبقى هناك أي مكان لهذا الشاب لكي يقوده أو يسيطر عليه، فلقد دُمّر المكان وما فيه عن بكرة أبيه، وأصبح الداخل كالخارج تماماً.

رأيت عنكبوت

ذهبت ماسة لزيارة صديقتها ألين في المشفى، كان وجهها شاحب وكانت في حالة صعبة -تعاني من ارتفاع في درجة حرارة جسدها، وتتعرّق بشدّة، وآلام في عظامها ومفاصلها- فسألته ماسة: "ما الذي أصابك؟"، فردّت ألين: "ذهبت لأتسلق الجبال كعادتي عند نهاية الأسبوع في إجازتي بصحبة صديقتي جوليا، صعدا الجبال، ومررنا بالنهر، ثم تهنا في الطريق، ولم نكن لنهتدي سبيلنا كيف لنا أن نخرج من هذا التوهان، فاضطررنا للتخييم ليلا هناك".

أكملت ألين: "في الصباح تابعنا المسير أنا وجوليا، وفي طريقنا اخذنا استراحة على ضفة النهر، تناولنا طعامنا وشربنا الماء، ثم انطلقنا، ومشينا مسافات طويلة حتى خارت قواي وأنهكتني التعب، اتكأت على الشجرة، وعلى حين بغثة شعرت بقلبي يخفق فجأة، وتملّكني التعب والإعياء، فأردت أن اشرب الماء لأنني شعرت بجفاف حلقي أيضا، ولكني لم اجد القارورة في حقيبتي -يبدو انني نسيتها على ضفة النهر- وفجأة سقطت أرضاً، ولا أعلم كيف وصلت إلى هنا!".

جوليا: "لقد طلبت المساعدة، والحمد لله لب النداء رجلاّن -صامد وقائد- كانا في الجوار، وحملوك الى المشفى".

اندفع سؤال من فم جوليا على نحو مرتبك: "ألين، لقد كنّا معاً حاولي أن تتذكري، مالذي حدث؟"، فأجاب الطبيب مصطفى: "انها تعاني من اعياء شديد، لنتركها ترتاح قليلاً".

غطّت ألين في النوم، وكانت تهذي بكلمات بعضها مفهوم والآخر لا، وفي هذه الأثناء كانت جوليا تجلس مرتبكة بجانب سرير صديقتها، وماسة تطوف حوله، وإذا بها تهذي وتقول: "رأيت عظماً، وكانت لعنق حيوان على ما يبدو، أعتقد أنها رقبة كلب، كان مكتوب عليها اسم -خالد- نعم اسمه خالد".

انصدم ماسة من هذه العبارات! وشكت في جوليا على الفور، فما كان منها سوى أنها اتصلت بالشرطة لفتح تحقيق في المسألة، فحضرت الشرطة على عجلة، وعندما استفاقت ألين من نومها سألتها المحقق عز الدين: "لقد قلت كذا وكذا أثناء نومك، فهل هذا صحيح؟"، فأجابت ألين بصوت خافت يرتجف: "نعم"، فقال لها: "وماذا بعد؟ هل هناك شيء آخر ترغبين بإضافته؟"، فأجابت ألين: "لا"، فرد المحقق عز الدين: "لكن ماذا لو كانت هذه العظمة هي رقبة انسان اسمه "خالد"!؟ هل كان هناك أي شيء بالقرب منها؟"، ألين: "نعم، كان هناك كوخ صغير"، المحقق عز الدين: "هل كان فيه أحد؟"، ألين: "لا نعلم، فنحن لم ندخله -أنا وجوليا- أبداً"، وهنا تفاقم ارتباك جوليا، وأصبح ملحوظا لدى المحقق عز الدين.

قال المحقق عز الدين: "هل لاحظتم وجود أي شخص؟ أو أي ملامح لحياة هناك؟"، ألين وجوليا:
"لا، لم يكن هناك أي أحد، ولا نعلم ان كانت هناك حياة أم لا".

وفجأة صرخت ألين: "رأيت العنكبوت!! عند سقوطي على الأرض بجانب الشجرة وقبل أن أفقد وعيي رأيت عنكبوت!".

وبدأت سيال الأسئلة ينهمر في عقل ألين: "هل يعقل أنها لدغتنني!؟".

عندما سمعت ماسة ذلك، ذهبت إلى مكان الحدث لكي تتقصى أثر العنكبوت، وعندما وصلت إلى الشجرة نبّشت فيها فوجدت آثار ألبيت عنكبوت مُدَمَّر! أمعنت النظر فيه فوجدت مالم يكن بالحسبان، وجدت صغار العنكبوت قد هرسوا وماتوا جميعاً!

لقد كان انتقام العنكبوت، لقد لدغت العنكبوت صديقتي ألين لأنها هدمت منزلها وقتلت أولادها!!

أنا آسف

في إحدى الأيام كانت سيّد تدعى -ليلي- تقود مركبتها إلى المدرسة لإيصال ابنها -عمر- وكان لدى عمر فقرة صباحية في الإذاعة المدرسية في السابعة صباحاً، ولكن والدته -ليلي- تأخّرت عن إيصاله على الموعد، فقامت مديرة المدرسة -رنيم- بالإتصال على ليلي لتستوضح منها عن سبب هذا التأخير؟ فقالت لها ليلي: "أعتذر عن هذا التأخير، وأنا بطريقي إلى المدرسة، فقط أحتاج خمسة دقائق لكي أصل"، فقالت لها المديرة رنيم: "حسناً، بالانتظار، ولكن خمسة دقائق فقط لا أكثر"، فردّت ليلي: "أكيد".

وأثناء سيرها بالمركبة مع ابنها عمر وإذا بهم بقلب إزدحام هائل، ارتبكت ليلي ثم راحت تغلي وتفور فليس لديها الوقت الكافي أمام هذه الأزمة، فحرّكت المركبة مسرعة لتأخذ منعطفاً على اليمين لتتفادى هذا الإزدحام، وإستمرّت بالقيادة حتّى وصلت مفترق طرق عليه إشارة ضوئية وأمامها مركبة -جيب هندي- والإشارة كانت حمراء.

توقّفت خلف هذا الجيب، وعندما أُنارة إشارة المرور باللون الأخضر لم يتحرّك هذا الجيب! فوضعت يدها على زمور مركبتها، وضغطت عليه ضغطة متواصلة حتى كاد أن ينفجر بين يديها، ولكن السائق لم يتحرّك، وهي بعجلة من أمرها كي لا تلغى فقرة ابنها -عمر- الصّباحية، فهذه أول مرة سيشارك فيها، فوضعت يدها مرة أخرى على الزمور، وضغطت عليه بشدّة حتّى تعبت يدها، ولكن لا حياة لمن تنادي.

الإشارة شارفت على اللون الأحمر، فتحركت ليلي مسرعة من جانب الجيب، وأخذت تصرخ وتوبخ سائق الجيب، ثم تجاوزته وأكملت طريقها بسرعة، ولكن لم يسعفها الوقت، حيث تلقت ليلي اتصالاً من رنيم مديرة المدرسة تخبرها فيها أن المدرسة قد قامت بإلغاء فقرة ابنها عمر.

وضعت ليلي الهاتف جانباً، وراحت تنعق داخل مركبتها، ثم قالت لابنها عمر: "ماما، لا تحزن سنذهب إلى المنتجع بعد عودتك من المدرسة".

وقفت ليلي على الإشارة التي تليها، وإذا بسائق الجيب يتبعها من الخلف ويقف بمحاذاة مركبتها، ويوشّر لها بأن تفتح له الشبّاك، فقامت ليلي بفتحه، فقال لها: "سيّدتي، أنا مررت بوقت عصيب جداً، ولم أنتبه للإشارة، وأخذني التّفكير ولم أنتبه أن الإشارة أصبحت حمراء، وأنا أعتذر لك... أنا آسف"، فقالت له ليلي وهي مننّفخة منه: "غير مهتمة باعتذارك الآن يا سيّدي، فقد ألغيت فقرة ابني المدرسية بسببك"، فقال لها: "لقد إعتذرت لك!"، فردّت: "لا يهم"، فقال لها: "وأنا مررت بيوم عصيب، ولا يعلم بلصبه أي شخص في العالم"، فردّت ليلي وهي غير مهتمة: "شكراً لإعتذارك"، فردّ عليها: "وأنت... ألا تعتذرين لي؟"، فقالت ليلي: "ولماذا أعتذر لك؟!"، فقال لها: "على ذلك الزّمور الذي أطلّقتيه بشدّة، لقد أفرعني وأربكني"، فقالت له ليلي: "طبعاً لن أعتذر لك، فأنا لم أخطئ بحقك يا... ما اسمك؟"، فقال لها: "اسمي رفيق"، فقالت ليلي: "وليكن.. يا رفيق، لن أعتذر

لك"، فردّ رفيق بغضب: "هكذا الأمور إذن، أنا إعتذرت لك، ووضحت موقفي، وأنت في المقابل لا تريد أن تعتذري لي!!".

ثم نظر رفيق إليها وسألها: "ألسنت أنت ليلي"، فردّت باستغراب: "نعم"، فقال لها: "أليس -يامن- هو أخاك"، فردّت ليلي باندھاش: "صحيح"، فقال لها رفيق: "ألا تعلمين أنّ أخاك -يامن- قام بفصلي من العمل، ولم يقدّم حتّى بإعطائي مهلة كي أرتّب أموري، ولم يمنحني وقتاً كي أجد عمل بديلاً من أجل أن أطعم زوجتي وأولادي، ولم يكثرث أنه سوف يتم طردي من المنزل إن لم أسدد الديون المتركمة علي!".

فنگست ليلي رأسها وقالت بصوت خافت: "أنا أعتذر يا رفيق، وأتمنى أن تقبل باعتذارتي".

الملاك الورقي

18+

في يوم من الايام استيقظت لأجد نفسي على الرصيف، ولي مع هذا الرصيف حكاية طويلة، لقد كان صديقي منذ نعومة أظفري حتى اشتعلت لحيتي شيباً، وها انا الآن أبلغ من العمر 55 عاماً ولم أعرف سوى هذا الرصيف صديقاً لي.

كنت اراقب الناس جميعاً من على متنه، كنت أنظر الى ذلك الأب الذي يوصل أبنائه الى المدرسة ويودعهم، وينتظر في مركبته حتى يغيبوا عن ناظريه ثم ينطلق، كنت أرقب تلك الام التي تحتضن طفلها وتطبع قبلة على خده، كنت أشاهد مداعبات الحب لتلك العائلة، وإلى صاحب العمل وهو ذاهب الى عمله، وإلى الشباب وهم يتسكعون ويجلسون في الكافيه ويتناولون كوب القهوة، كنت اراقبهم وأعدّهم وأحفظ وجوههم جميعاً، ولكن لا أحد منهم انتبه إلي، طيلة ال 55 عاماً لم يلتفت إلي أحد سوى هذا الرصيف.

أنا لقيط، لا أعلم من هم أبواي ولا من أي عائلة أنحدر، ليس لي أصدقاء، ولا يوجد هناك من يهتم بي، لا أملك عملاً، ولا أستطيع أن أتقدم لوظيفة كوني لا أملك هوية أو أي أوراق ثبوتية أو أي وثائق رسمية تخبرني من أنا! وبالتالي لن أتمكن من جني المال لشراء أقل حاجاتي أو احتياجاتي، لا شيء سوى هذا الرصيف.

أنا لقيط مشرّد غير معترف بي -المجتمع لا يعترف بي- وكيف يعترف بي وأنا لا أعرف من أنا من الأساس؟! بل إنني حتى لا أعرف ما هو اسمي! لقد أطلق علي سگان هذا الرصيف "ميدو" عندما كنت طفلاً رضيعاً في قلب اللّفة، كنت أشعر أنني ككلب ضائع تائه في الطريق، يتخبط هنا وهناك، وبطنه في ظهره من شدّة الجوع، فعثر عليه أحدهم صدفة، وأشفق عليه، وتبنّاه وسمّاه.

على العموم... كنت اشارك الناس أفراحهم، أصعد الى أعلى البناية المتواجدة على زاوي الرصيف وأجلس على حفتها، وشاركهم في نظري، وعندما أنام أشاركهم الرقص في حلمي.

عندما أتضوّر من الجوع كنت أذهب الى حاوية نفايات على جنب هذا الرصيف، فأقف على حرفها وأشتم رائحتها النتنة، ثم أففز بداخلها، وأفتش بين القمامة هنا وهناك لعلي أعثر على كسرة من الخبز أو بقايا طعام، كنت ألتقط منها فطوري وغدائي وعشائي إن وجدت، وأحياناً أمضي على وجبة طعام واحده طوال اليوم، وكانت من هذه الحاوية، ثم أعود الى رصيفي كي انام.

وفي يوم من الأيام واذا بمركبة فاخرة -جيب مرسيدس- يقوده شاب عشريني يبذوا عليه الثراء الفاحش، وكان برفقته ثلة من الأغنياء، وما لبثوا إلا أن قدموا نحو الرصيف الذي أتمدّد عليه، وإذا به ينادي ويجمع كل الشخّادين والسائلين والساكنين على هذا الرصيف من المشردين والبؤساء -

وكنت أنا معهم- ويعرض مبلغ وقدره "40 جنية" لكل المتسولين والمتواجدين على هذا الرصيف ولكن بشرط، أن يدور قتال بين شخصين منّا، ومن يفوز يحظى بال "40 جنية"، فوافقت على الفور، فليس هناك خيار آخر لكي أحصل على مال.

قلت لذلك الشاب الغني: "انا سأقاتل"، ووقف متسول آخر قبلي وقال لي: "وأنا سأكون خصمك"، وبدأ النزال، فهزمته بكل بساطة، واخذت ال "40 جنية" وكانت أول 40 جنية أمتلكها في حياتي.

ذهبت الى فندق مخصص للطبقات الفقيرة، دفعت 10 جنيهات لكي أستأجر غرفة لليلة واحدة، وكان أول عمل قمت به عندما دخلت هذه الغرفة هو أنني أخذت حماماً دافئاً، وكنت سعيداً جداً وأنا أزيل عن كاهلي تلك الأوساخ، وأنظف شعري من تلك الحشرات، وكانت هذه هي أول مرة أستحم فيها أيضاً، ثم خطوت نحو السرير كجندي متعب يعود إلى وطنه بعد حرب طاحنة، وما أن وضعت جسدي عليه حتى دخلت في نوم عميق، ورحت أشخر كفرقة موسيقية تؤدي مقطوعتها على خشبة المدرج.

عند الصباح كانت معدتي تصدر أصواتاً من شدة الجوع، خرجت من الغرفة وسلمت مفاتيحها لنادلة الفندق، ثم توجهت الى إحدى المطاعم الشعبية لشراء وجبة طعام، كان ثمنها 10 جنيهات، اشتريتها وتناولتها وكدت أتناول أصابعي معها لشدة لذتها.

تبقى لي من ال "40 جنية" 20 منها، ذهبت الى فتاة ليل رخيصة تبتاع الهوى على رصيفنا بثمن بخس، فأعطيتها 10 جنيهات لكي أدخل معها في علاقة حميمة، وكانت أول مرة في حياتي أقترب فيها من امرأة وأمس جسدها، شعرت حينها أنني مستلق فوق حرير.

تبقى من ال "40 جنية" 10 فقط، قلت في نفسي: "سأدخرها للحاجة"، عدت الى رصيفي بعد هذا اليوم الرائع، واتكأت عند زاويتي، وإذا بمتسول نحيل يرتدي ثياب ممزقة ومهترئة يتحدث مع نفسه -أعتقد أنه يبلغ الثمانين من العمر- رأيت بتجاعيد وجهه الهرم البؤس الشديد، كان يمد يده التي بان عظمها من لحمها للمارة سائلاً الحاجة، فشبهت من الحزن على حاله -إنني فقير.. وأعلم جيداً ماذا يعني أن تكون مشرداً وفقير- فتحت كفي ونظرة نظرة الوداع إلى ال 10 جنيهات المتبقية معي، ثم اتجهت نحوه وتصدقت بها عليه.

استيقظت في صباح اليوم التالي على ضجيج، وإذا بذلك الشاب الغني يزور رصيفنا مرة أخرى، وما لبث حتى اتجه نحوي، وعرض علي 40 جنيهاً لكي أقاتل مرة أخرى، فوافقت، وهزمت الرجل الذي تحداني.

وبدأ هذا الشاب يتردد كثيراً على رصيفنا، وفي كل مرة يعرض علي عرضه، كنت أقبل وأنسف كل من يقف أمامي، لقد هزمت معظم المتسولين الذين يسكنون هذا الرصيف، وكنت في كل مرة أحظى بال 40 جنية، الا ان جاء هذا الشاب الغني في يوم من الأيام ومعه مجموعة من الأشخاص

الملثمين، ثم وجه أصابعه نحوي ونظر إلي فبادلته النظرات، وإذا بهؤلاء الملثمين يتحركون نحوي، فأشحت ببصري القلق عنهم وهم يتقدمون نحوي حتى وقفوا قبلي.

فجاء ذلك الشاب الغني ومد كفه المقبوض نحوي، ثم قلبه وفتحه وإذا بداخل 100 جنيهه، ثم قال لي: "ستكون من نصيبك إن قاتلت أي شخص مقابل أصدقائي الملثمين"، ترددت قليلاً لكن المبلغ كبير، وهذه فرصة لا تعوض، فوافقت، لكن المشكلة كانت أنه لم يجرء احد من المتسولين الذين يفترشون الرصيف أن ينازلني، وفجأة وقف رجل كبير في السن، يبلغ بضع وسبعون من العمر لكي يتحداني، فلكرته بعيني وقلت له: "لا تفعل هذا أيها العجوز، أنت لا تقوى على ذلك، سأهزمك بضربة واحدة"، فأجابني: "لقد أضرمت النار لهيبها في جثتي، وأنا بحاجة الى 100 جنيهه هذه لأسد مسغبتني، ثم إنني ليس لدي أي حل آخر، فأنا سأموت على كلتا الحالتين، إما من الجوع أو من قبضتك"، كان لكلماته وقع ثقيل على صدري ما جعلني أبكي وأجثوا على ركبتي وأقول له: "إضربني أيها العجوز... إضربني"، فجعل يضربني وهو يبكي ويلكم وجهي حتى سقطت أرضاً، وكان كل ما يجول في فكري حينها أن ينال هذا العجوز ال 100 جنيهه، لكن الشاب وملثمينه لم يعجبهم ذلك، فانهمروا ضرباً في كل جزء في بدني لما صنعتهم مع هذا العجوز، حتى أغشي علي.

أفقت داخل المستشفى، ولا أعلم كيف وصلت له، وقد كنت وحيداً كالعادة، وكنت أتمنى أن أرى أحداً بجانبني، لكن لا يوجد سواي، نظرت في المرأة لوجهي المنفوخ كالبالون من تلك اللكمات، أنوح من هول ألمي ووحديتي، ولا إرادياً ضغطت على زر المناداة، ولكني لم استدع الممرضة، وإنما بدأت أروي قصتي لكل من يسمع في غرفة الممرضين، ولكنه حظي وأعرفه، فلم يكن هناك أي أحد للاسف، فجعلت أنتحب من البكاء، وللصدفة لمحت طفلاً صغيراً كان يسترق السمع من خلف بابي، ثم ما ان انتبهت له حتى هرب.

بعدما عوفيت خرجت من المستشفى الى رصيفي، ووقفت على بلاطه كعادتي، وجعلت انظر إلى الناس جميعاً مرة أخرى وأنا مألوم ومحزون، فقد كنت أطمح الى ان يكون لي صديق واحد لا أكثر، هذا كان كل ما أبغيه.

وانا أوزع عيناى نحو الناس، واذا بطفل صغير يمسك بيد أمه ويحدق بي، كنت فرحاً أن هناك طفل رأي، عندما بادلته النظرات وإذا به يُقلت كفه من كف أمه ويركض نحوي وهو يبكي حتى وصل إلي، ثم قفز في حجري وحضنني بشدة وبكى، كانت ردّة فعله غريبة، فسألت نفسي: "يا ترى ما قصة هذا الطفل؟ ولماذا اندفع نحوي بهذه العاطفة الجياشة؟"، واذا به ينظر إلي ويقول: "ألم تعرفني؟"، فقلت له: "لا.. أنا آسف" فقال لي: "أنا ذلك الطفل الذي كان يسترق السمع من خلف باب غرفتك في المشفى، لقد سمعت قصتك بأكملها".

ففرحت كثيراً وحضنته وبكينا معاً، فلقد كان كل ما أريده في هذه الحياة ان ينظر الي شخص واحد فقط، كان كل ما أريده صديق واحد لا أكثر، لقد مضى من عمري 55 عاماً انظر للناس، وها انا اخيراً أحظى بنظرة أحدهم، لمسة طفل صغير لكنه بالنسبة لي كان العالم الكبير، لقد كان صديقي وعائلتي و كل شيء.

جنة العنيد

18+

كان هناك رجل عنيد، اقترح التوجه جنوباً للجنة الموعودة، وكان الشروع بهذه الرحلة احدى قصص طفولته، ولكن لكي يبلغوا هذه الجنة عليهم أن يجتازوا إمتحاناً في المنتصف، وهو أن يتخطوا جبلاً عظيماً، ولكن الجنة تستحق، فقد كان فيها أنهاراً عذبة، وماشية، وألوان من الفاكهة والخضروات، وكهوف دافئة.

سخر منه أهله وعشيرته، ولكنه كما قلت لكم -عنيد- ويريد أن يسعى إلى بقعة أفضل من التي يتربعون فيها، حيث كان الموت يفتك بهم من كل النواحي، فلا طعام ولا شراب، والمياه ملوثة والقحط يدب أقدامه في المكان.

رفض الجميع مقترح هذا الرجل العنيد، ولم يوافقوه سوى عشرة أنفار بالإضافة إلى ابنته وشاب يتيم ورجل مجنون، وبالفعل، في الصباح مضى رحلته برفقتهم.

عند وصولهم للجبل، تعجبوا من علوه، حتى أن رقابهم تخشبت من النظر للأعلى، لقد كان عظيماً حقاً كما جاء في القصص عنه.

بدأت الحرب مع هذا الجبل الشاهق، قاوموه بشتى الوسائل والطرق، سلب الجبل منهم الكثير، حيث لقي العشرة أنفار مصرعهم، ولم يتبقى سوى العنيد وابنته واليتيم والمجنون، وفي طريقهم نحو القمة كانت عين الموت ترقبهم، ولكن هناك جنة في الخلف بانتظارهم.

ولحظة أن فتح الموت فمه لبلعهم هدأ الجبل، ووصلوا قمته، لقد كان المشهد جميل جداً، لقد ظهرت الجنة الموعودة.

لقد أنقذ الرجل العنيد من بقي معه، وقادهم إلى الفردوس الذي سينبت ويولد فيه جيل جديد، أخيراً، وجدوا السلام، وعتروا على فردوسهم الخاص.

عندما هبطوا من الجبل وبلغوا الجنة كانت الصدمة...

إنها جنة ملعونة، كانت أرضاً قاحلة وبوراً تصفعا الرياح من كل مكان، ويقتلها البرد، لقد كانت أرض ظلام، لا يوجد فيها نور، وإن أخطر ما في هذه الجنة السوداء والمظلمة هي أنه عند إشعال النور ستكتشف حينها من يعيش في قلب هذا الظلام، إنهم لا يعلمون بعد هل يسكنها احد أم لا؟ وماذا يخبئ لهم المجهول فيها.

لقد كانت قصة هذا الجنة كذبة كبيرة !!

بدأت رحلة الكفاح ومقاومة الجوع في هذه الجنة الملعونة، حتى وصل الأمر بالرجل المجنون أن يفكر بأكل ابنة الرجل العنيد من شدة الجوع.

لاحظ ذلك الشاب اليتيم ذلك، وبدأ بمراقبة المجنون حتى تأكد فعلاً أنه يُخطط لذبح ابنة العنيد وأكلها، ولكنه كان جداراً لها في حضورها، وحصناً لها في غيابها، لأنه ببساطة يحبها.

إن اليتيم كان يحب ابنة العنيد، ففكر بقتل المجنون والتخلص منه لكي لا يشكل خطراً على حياتها، ولكنه تراجع مؤخراً عن فعل ذلك، فلا يوجد على متن هذه الجنة سوى أربعة أشخاص، وبتخلصه من واحد سيتبقى ثلاثة، ولا يعلمون بعد ماذا ينتظرهم في هذه الجنة؟ لذلك من الأفضل الإبقاء على حياته، لعله ينفعهم إذا اشتد الكرب وانكشف المجهول.

كانت الجنة في الصباح هادئة وساكنة، فكانوا يخرجون جميعاً للبحث عن الطعام، وفي أحد الصباحات خرج الرجل العنيد والمجنون للبحث عن الطعام، فوجدوا خلف إحدى التلال لحم ممزق، فاعتقدوا أنه سقط من أعلى التلال إلى القاع وتهشم، ولكن الرجل العنيد كان يعتقد أن الأمر مختلف في قناعة نفسه، فأخبر المجنون أن لا يخبر ابنته واليتيم بذلك.

في الليل كانوا يشعلون النار ويلتفون حولها كالمقروصين، ويستمعون لأصواتاً غريبة ومخيفة تصدر من خلف هذه الأشجار العالية، ولكن لم تكن لتسعفهم المحاولات لمعرفة ما هو مصدر هذه الأصوات، هل هم حيوانات؟ أم كائنات أخرى لا يعلمون عنها شيء؟

لم تكن أصواتهم كاصوات الكلاب أو الذئاب -نحن نعرفها- ولكنها كانت أصواتاً غريبة لم نسمع مثلها من قبل! كنا نرتجف خوفاً ورعباً عند سماعها.

كنا نمكث كل يوم في بقعة على متن هذه الجنة التي لا تتبجح ولا تلتوي، في الصباح نستيقظ للبحث عن الطعام، وفي الليل نشعل النار حيث تقف اقدامنا؛ و نلتف حول النار ونحن ننتفض من تلك الأصوات التي لا نعلم من هم أصحابها، وعند استيقاظنا نرتحل باحثين عن الطعام، وهكذا.

في أحد الأيام استيقظ العنيد، ومدّ بصره نحو الجميع لتفقدتهم، فلاحظ أثناء ذلك تغيرات على جسد ابنته، لقد كان بطنها منفوخ نوعاً ما، ولم يراوده الشك أبداً أنها حامل، فلقد كانت دائماً تلهوا برفقة هذا الشاب اليتيم، غضب لوهلة، ولكن سرعان ما ارتسمت الابتسامة على وجهه لكونه سيصبح جِداً.

عند حلول الليل شدّت هذه الغاية على أسنانها، وازدادت وتيرة هذا الصوت المرعب، وكثرت نرى حركة خفيفة من خلف الأشجار، بقينا مستيقظين نعطي ظهورنا للنار ووجوهنا نحو الأشجار، ولم ترى أعيننا النوم تلك الليلة.

وفجأة قَلت الحركة وبدأ يتلاشى هذا الصوت شيئاً فشيئاً حتى اختفى، فالتفتنا حول النار مرة أخرى واقتربنا من بعضنا.

في هذه الأثناء صاحت ابنة الرجل العنيد، حيث جاءها المخاض وهي على وشك الولادة، وفي الوقت ذاته لمحنى اختفاء المجنون، ولم يكن في هذه الأثناء سوى الرجل العنيد وابنته التي بين يديه وعلى وشك أن تضع حفيده، والشاب اليتيم "حبيبها".

تمت الولادة على خير، وانجبت توئماً.

في الصباح كان يفكر الرجل العنيد في الرجل المجنون أين تبخر؟ هل اختطف من قبل هؤلاء الكائنات دون أن نشعر؟! ثم قال: "ليس أمامنا من سبيل إلا أن يطاردنا ذلك الحيوان ليقْتلنا ويأكلنا، أو نتخذ نحن الخطوة مسبقاً بمطاردته وقتله".

كان الجوع قد أوشك أن يفتك بهم جميعاً، خصوصاً أحفاده وابنته، فهي بحاجة ماسة إلى الطعام كي يخرج من احشائها الحليب لارضاع أطفالها، وفي إبان سيرهم في الطريق كانت المفاجئة، حيث وجدوا الرجل المجنون ميتاً وملقاً في وسط الأرض.

اخترقت سهام الرعب صدورهم جميعاً، خاصة الشاب اليتيم الذي كان يبحث عن ملاذ لحبيبه وأطفاله كي يحميهم من فكّ هذا الحيوان، فاقترح الهرب والاختباء في كهف، ولكنه تذكر يوماً أنه قال في نفسه -لا بد أن ينفعنا هذا المجنون يوماً- وها قد جاء هذا اليوم، فقام بتقطيعه إلى أجزاء، ووضع بعض منه على النار لطهيته حتى استوى، واطعم حبيبه وطفليه، ومن ثم أكل هو وحماه، وادخروا الجزء الأكبر المتبقي للأيام القادمة، ومضى سبيله نحو الكهف.

أما عن الرجل العنيد، فقد كان يفكر في خطة لقتل هذا الحيوان، فقام بعد سجال طويل مع ابنته بوضع أحد توئمها طُعماً على صخرة لكي يستدرج هذا الحيوان ومن ثم يقتله، وبالفعل، وضع الرضيع على صخرة، وإذا بهذا الوحش يظهر، كان مديد القامة وضخم الجثة، ولكنه كان يمشي على اثنين تماماً كما البشر، لم تكن ملامحه واضحة، لكون الضباب يعم أرجاء المكان.

سرق هذا الوحش على غفلة الطفل الرضيع وركض به بعيداً، فنبعه الرجل العنيد لوحده، وترك ابنته وشق التوئم الصغير مع الشاب اليتيم ليمضي بهم نحو الكهف، فأوى بهم إلى الكهف القابع وسط إحدى التلال.

بينما تتبع الرجل العنيد آثار هذا الوحش الذي اختطف حفيده، وإذا به يدخل في نفق، فتسلل خلفه خلسة، يخطوا بحذر كبير في زقاق هذا النفق حتى وجد الوحش، بدت الرؤيا واضحة كوضوح الشمس، حيث كان يلبس فراء ذئب رمادي، ويضع الطفل على مائدة خشبية، ثم وضع آلة حادة كالكسين على رقبتة من أجل نحره.

ومن دون وعي هجم الرجل العنيد على هذا الوحش العملاق لكي ينقذ حفيده، فدفعه، فسقط أرضاً، ثم امتطاه ولفّه نحوه، وكانت المفاجئة أنه كان بشراً من لحم ودم، مثلنا تماماً.

صعق العنيد وتمسرت يده، وإذا بهذا الإنسان يطعن الرجل العنيد في بطنه طعنات عديدة، ومن ثم فسح وجهه ليسقطه ميتاً على الفور.

بعد وقت قام هذا الإنسي بذبح هذا العنيد وأكل جزء من لحمه، وادّخر ما تبقى منه للأيام والأشهر القادمة.

أما عن الرضيع الصغير فقد بدّل هذا الانسي وجهة تفكيره نحوه عندما حصل على طعامه من جدّه، فقام باتخاذ ولدأ له، فربّاه وعلّمه حتى اشتدّ بأسه وأصبح في العشرين من العمر.

كان علم هذا الصبي أن هذا الانسي هو والده، فكان مطيعاً له في كل شيء.

وفي يوم من الأيام بعث هذا الانسي -الذي أصبح عجوزاً- ولده للبحث عن الطعام، فخرج حتى وصل إلى كهف مسكون، كان فيه رجل على مشارف الخمسين من العمر، وبجانبه امرأة أربعينية وشاب في العشرينات من عمره، فقام بمراقبتهم ليلاً حتى دخلوا في نومهم، فانقض عليهم وقتلهم جميعاً وعاد بأجسادهم إلى والده العجوز.

فرح هذا العجوز بهذه الغنيمة وبما صنعه ولده، فأطره بالدعوات وقبّل جبينه، وطلب منه أولاً الإحتفاظ بجسد الرجل والإمرأة في زاوية النفق الذي يقطنون به، وثانياً أن يقوم بتقطيع الشاب إلى قطع صغيرة حتى يأكلوا منها ويسدوا جوعهم.

قام بذلك... وأطعم والده العجوز بعضاً من لحم البطن، ثم أكل هو، وادخروا الباقي.

الشيطانة المؤمنة

18+

كان هناك رجل يجلس في شرفة غرفته والتي تقع على ارتفاع 23 طابقاً عن سطح الأرض في إحدى الأبراج الفارحة المظلة على البحر، كانت عقارب الساعة تؤشر نحو الخامسة صباحاً، احتسى هذا الرجل فنجان قهوته ودخّن سيجارته، ثم ألقى بنفسه من على الشرفة.. انتحر.

في الوقت ذاته كانت تقبع شابة غريبة الأطوار -بالتلاثينيات من العمر- خلف القضبان في إحدى السجون، حُكم عليها بالإعدام شنقاً لقتلها خمسة شباب، حيث استدرجتهم جميعاً لعلاقة عاطفية ثم قضت عليهم.

قبل إصدار حكم الإعدام بحقها، تبين للقاضي وللجنة أنها تعاني من مرض نفسي، لذلك حولوا ملقها للدائرة النفسية في السجن للبت بأمرها قبل تنفيذ الحكم.

تم حجرها في قسم هناك لحين تنفيذ الحكم بها، وخلال هذه الأيام توال الأطباء النفسيين والرّقاء من رجال الدين على مراجعة حالتها وقرائة أفكارها ومراقبة تصرفاتها والذين أجمعوا جميعاً على أن نوع المرض النفسي الذي تعالي منه هو الفصام، حيث كانت تعاني من تبدّد الشخصية، ففي يوم تكون هي المُتحدث، وفي اليوم الآخر شخص غيرها.

صُنّفت حالتها من أصعب وأشدّ الحالات، حيث أن قسم من من تابع وضعها الصّحيّ انسحب، وقسم فقد عقله، وقسم انتحر -كالرجل الأول الذي تحدثنا عنه في بداية قصتنا- لقد كان طبيبياً نفسياً أشرف على وضعها العقلي، ولكنه لم يحتمل الضياع الذي كانت تعاني منه هذه الفتاة فانتحر، لذلك تم احتجازها لوحدها في هذه الغرفة.

هذا الطبيب النفسي الذي ألقى بنفسه من على شرفة غرفته، إنتحر لأنه الطبيب النفسي الأكثر شهرة والأوسع خبرة في المنطقة، ومع ذلك فشل فشلاً ذريعاً، ولم يكن بمقدوره إقناع هذه الفتاة على أنها مريضة نفسياً حتى يوقف حكم بالإعدام بشأنها، فلقد كان على قناعة تامّة أن هذه الفتاة مريضة بالفصام، ولكنها كانت على قناعة تامّة أنها طبيعياً وليست مفقوءة العقل، بل على العكس هي من أصرت على تنفيذ حكم الإعدام بها لفتاعتها الأكيدة على أن عقلها بخير وخالي من أي شطحات جنونية أو نفسية، لهذا الداع جُنّ الطبيب وإنتحر.

إنتشرت قصة هذه الفتاة في كل نواحي أوروبا، وتوال حضور الأطباء لمعاينتها ومحاولة معالجتها أو حتى الإقتراب من فهمها، ولكن للأسف لُسعت معظم عقول هؤلاء الأطباء، بل وتحول شق كبير منهم إلى مرضى نفسيين.

ذاعت حكايتها بصورة أوسع حتى قفزت عن حدود أوروبا، إلى أن سمع بقصتها أفضل طبيب نفسي في الولايات المتحدة الأمريكية، ليتحدّى نفسه ويتبرع هو الآخر من أجل لقاء هذا المريضة ومعالجتها بلا مُقابل وعلى نفقته الخاصة.

وبالفعل، طار الطبيب، ووصل وجهته، واجتمع بإدارة السجن، وتم إبرام إتفاق بينه وبين إدارة السجن، نصّه يقول: "أن إدارة السجن ستستضيف الطبيب الأمريكي لأسابيع مجاناً في احدى الفنادق -مبيت وطعام وشراب وكل ما يحتاجه الطبيب- في المقابل سيكون على الطبيب عقد الجلسات مع هذه الفتاة على حسابه الخاص"، ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان، أو أن يتصوره أي عقل انسان!!

بعد أن استراح الطبيب في جناحه في الفندق، استحم وتناول طعامه وشاهد فيلم دراما ثم ذهب للنوم، وفي اليوم التالي ذهب الطبيب إلى السجن، وتوجه إلى الغرفة المعزولة التي تجلس بها هذه الفتاة لوحدها، وجرى بينهم هذا الحوار العجيب:

الطبيب: "أنا اسمي فرانك".

الفتاة: "أهلا بالطبيب فرانك".

الطبيب: "دعينا نناقش جرائمك الخمسة التي إرتكبتها".

الفتاة: "في الواقع جرائمي لها وجود، وهي قائمة قبل أن تأتي إلى هذه الدنيا أيها الطبيب".

الطبيب مُستهزئاً: "ألا تخافي من الموت لإصرارك على قيامك بهذه الجرائم؟!".

الفتاة بكل ثقة وهدوء: "الموت لا يخيفني أيها الطبيب".

الطبيب متسائلاً: "لماذا؟".

الفتاة: "لأنني لا أموت".

الطبيب مُتعبجاً: "وكيف لا تموتين؟! وهل يوجد إنسان لا يموت!".

الفتاة: "لأنني لست من بني جنسك".

الطبيب مذهول: "وماذا تكونين؟!".

الفتاة: "أنا شيطان".

الطبيب مُستهزئاً: "شيطان! وهل لديك إسم أيها الشيطان؟".

الفتاة: "نعم لدي، ولكن لكي أخبرك به عليك في البداية الاعتراف بي وتصديقي".

الطبيب: "ولم أعترف بك وأصدّق بوجودك؟".

الفتاة: "كما اعترفت بإسمك -الطبيب فرانك- وصدّقتك، عليك في المقابل أن تعترف بإسمي وأن تصدقني... المعادلة سهلة وبسيطة".

الطبيب مُندهشاً: "حسناً، هل أنتِ فعلاً شيطان؟! وما اسمك؟".

الفتاة: "نعم، أنا شيطان، واسمي -لاقيس-".

الطبيب: "حسناً يا -لاقيس- ولكن لدي سؤال لك".

لاقيس: "وما هو؟".

الطبيب: "كيف أصدّق أنّك شيطان وأنت أمامي الآن على هيئة إنسان من لحم ودم؟!".

لاقيس: "بكل بساطة.. لأنني أسكن جسد هذه الفتاة المسكينة -إيزابيلا-".

الطبيب: "أنا لا أؤمن بك يا -لاقيس- لأنني لا أراك، فأنا أرى الآن أمامي -إيزابيلا- فقط؟!".

لاقيس: "وكيف ستراني وأنا طبيعتي تختلف عن طبيعتك!".

دُهل الطبيب وظلّ واجماً لدقائق، ثم قال: "لنتحدث عن الضحايا الخمسة التي قتلتها يا إيزابيلا؟".

لاقيس وهي جاحظة عينيها: "ليست إيزابيلا التي جرت أعناقهم قُلت لك، وإنما -لاقيس- أنا من صنعت ذلك".

الطبيب: "حسناً، لماذا لا تكون -إيزابيلا- هي من فعلت هذه الجرائم؟".

لاقيس: "لم تفعل ذلك بإرادتها، أنا من أجبرتها على القيام بذلك".

الطبيب بهتّم وسخرية: "وهل أشهرت السلاح نحو إيزابيلا! أم أنك يا لاقيس وضعت السكين حول عنقها!".

لاقيس: "هل تؤمن أيها الطبيب بوسوسة الشيطان؟ هل تُصدّق بفكرة أن هناك كائن خبيث لا يُرى بالعين الإنسانيّة يتحدث إلى عقله ويلعب بأفكاره؟!".

الطبيب: "طبعاً لا".

لاقيس: "ألم تقرأ ذلك في الكتب السماوية -القرآن والإنجيل والتوراة- ألم تقرأ ذلك في كتاب المسلمين في سورة الناس -الذي يوسوس في صدور الناس من الجنّة والناس-؟".

الطبيب: "بلا.. قرأت ذلك".

لاقيس: "إذن.. لماذا لا تؤمن بوجود الشياطين؟ لماذا لا تؤمن بوجودي؟".

الطبيب: "لأنني لاديني.. أنا مُلحد".

لاقيس: "إذن.. هذا يعني أنك لن تؤمن بأي شيء سأقوله لك!".

الطبيب: "ليس المهم أن أؤمن أنا، المهم ما تؤمنين به أنت!".

لاقيس: "أيها الطبيب، إن كانت المسألة بالنسبة لك هي إنكار العلاقة بالرب وبالأديان وبالشياطين، فأحب أن أخبرك أن الشيطان تخلى من قبلك عن الإيمان بالله منذ وقت بعيد، إننا نتسلح بالمعرفة والعلم تماماً كالإنس.. تماماً مثلك".

الطبيب مُتلعثماً: "متى تلبست يا لاقيس جسد إيزابيلا؟".

لاقيس: "العملية معقدة نوعاً ما، لكن سأشرحها باختصار، في البداية نقدم سلسلة من الإغرائات الغير أخلاقية، وتكون صغائر كحبة النور، ونفعل ذلك حتى يتعود الإنسان عليها، ثم ننتقل إلى المرحلة الأخرى وهي الكبائر، ونبقية عليها حتى يُدمنها، ثم تكون النهاية.. وعليك أن تعلم أيها الطبيب أن هذه الاغرائات نقدمها للعقل المضيف الذي سنقوم بالسيطرة عليه".

سكتت لاقيس قليلاً، ثم ابتسمت فجأة وقالت للطبيب: "أتعلم أن الإنسان في القرن ال-21- وصل به الحال إلى أن يعبد نفسه ويدّعي الألوهية! هل تعلم أيها الطبيب أن الإنسان عبد الشيطان نفسه الذي تكفر به أنت!".

ثم صفعت لاقيس الطبيب -فرانك- بهذه الكلمات وقالت له: "أتعلم أن الإنسان تفوق على الشيطان! بل إنه تفوق على سيدنا إبليس بذاته!".

فردّ الطبيب بحذر وتلثك: "وكيف ذلك؟".

لاقيس: "إن الإنسان مارس الشذوذ الجنسي وزينه بعبارة -المثلية- ودعا إليه، وسن قانوناً له، وأزال حقل -الجنس- من الهوية وجواز السفر، وهذا الأمر لنا علاقة به نحن منذ عهد النبي -لوط- لكن ما وصل إليه الإنسان من سبيل في الكفر والإجرام تفوق به علينا نحن معشر الشياطين، وهي مسألة -التحول الجنسي- لقد تعجّبنا من دهاء الإنسان وكيف خطرت على باله هذه الفكرة من الأساس، والتي لم تخطر على بالنا ولا حتى على بال مُعلّمنا وسيدنا -إبليس-!!".

الطبيب غاضباً: "أعتقد أنك ستُعدمين يا إيزابيلا أو يا لاقيس، أين كان اسمك.. فُكي عن رقبتك حبل المشنقة بعد غد إن استطعت".

لاقيس: "أخبرتكَ أنني لن أموت، وإنما إيزابيلا هي التي ستموت، فلقد فرغت وإنتهيت منها، وحان الآن وقت رحيلها إلى الجحيم".

الطبيب مُرتبكاً: "أنا لا أخاف منك أيها الشيطانة، ولا يهمني أمرك، ولا أعترف بوجودك من الأساس، فأنا كافر بك وبكل ما هو وراء هذه الطبيعة".

لاقيس بسخرية: "هل تعتقد أن إلحادك سوف يحميك من وسوستي؟".

تفقهت لاقيس، ثم اقتربت من الطبيب -فرانك- وأمسكت بطرف قميصه من الأعلى وقربته منها، ثم همست بأذنه تقول: "كم أنت أحمق أيها الطبيب! أنتم أيها الملاحدة حمقى لأنكم لا تؤمنون بالشياطين ولا بالملائكة ولا بالجنة ولا بالنار ولا بالخالق، مع أن النار مليئة بملايين الحمقى أمثالكم".

الطبيب مُنفعل: "هل تعلم أن رقبتيك بين يدي! فإما أن تتعاون معي وتُقرّي بأنك معتوهة وفي المقابل سأُنقذك من حبل المشنقة، وإما سأرفع توصيتي للجنة من أجل تنفيذ حكم الإعدام والإسراع به، ولتعلم أيتها الفتاة المخبولة أن مصيرك مرهون على توقيعني وإمضائي على هذه الورقة بعد الإنتهاء من حوارني معك".

لاقيس: "ليس لديك أي سلطة علي إلا في حالة واحدة".

الطبيب مُعناظاً: "وما هي؟".

لاقيس: "إلا إذا منحناك هذه السلطة من العالم السفلي".

وما أن انتهت لاقيس من الحديث حتى انفجر زجاج نافذة الغرفة، فقفز الطبيب كالمدوغ من على كرسيه، ثم نضد بعضه سريعاً، فقالت لاقيس له: "ربما هذه صدفة لأنك لا تؤمن بي".

خرج الطبيب من الغرفة يهذي، وأخرج هاتفه من جيبه ثم اتصل بقس المدينة وأخبره بأمر الفتاة وطلب منه الحضور فوراً، فلبّى القس النداء، وحضر إلى الزنزانة لكي يعاين حالتها.

بدأ بتلاوة آيات من الإنجيل، فثارت لاقيس وقالت له: "لماذا أتيت؟! لا تعذبني قبل أواني".

القس: "لم أت لأعذبك، وإنما لأساعدك".

لاقيس: "ألا تؤمن أيها القس بسيطرة الشيطان على الإنسان؟".

القس: "كلها أوهام، ولا يوجد استحواذ روحي، وقد أخذت المسألة مُنحناً بعيداً بسبب الأفلام، كفيلم -أنابيل، والشعوذة، وماما- وبعض المسلسلات وغيرها".

لاقيس: "لا أتحدث عن استحواذ روحي، وإنما عن السيطرة على عقل الإنسان والتلاعب بأفكاره بحيث يتحول من شخص مُسالم إلى قاتل مُجرم".

توقف القس عن الحديث مع لاقيس، وراح يمطرها بالأيات ويصفعها بها، فبرزت عينيها وشحب وجهها، ثم صرخت في وجهه وقالت له: "انتهت جلستي معك أيها القس، وموعد عذابي ليس على يدك وإنما على يد ربك".

في هذه اللحظة خرج القس مرعوباً وكأنه يهرب من وحش فاغراً فاه، ثم اصطدم بالطبيب، فقال له الطبيب: "يبدو أن الأمور لم تسر على ما يرام! ما الذي حصل؟ وهل هناك أمل؟".

فأجابه القس: "للأسف.. ما من جدوى لفعل أي شيء مع هذه الملعونة".

دخل الطبيب بخطوات حذرة للغرفة، ثم نظر نحو لاقيس وقال لها: "إنك فتاة مجنونة وغير عقلانية".

فأجابته لاقيس: "أيها الطبيب.. إنني أكثر شخص عقلاني قد عرفته وجلست معه في تاريخ حياتك".

الطبيب: "إعطني أي علامة تجعلني أصدق بوجودك أيها الشيطانة؟".

لاقيس: "دعني أدخل إلى عقلك وسترى".

الطبيب: "لن يحدث هذا أبداً".

لاقيس: "إذا انت خائف مني، وتخشى أن أختبر صحة قناعاتك".

الطبيب: "كلاً، هذا غير صحيح".

لاقيس: "ألست ملحداً ولا تؤمن بي.. إذن دعني أدخل إلى عقلك إن كنت لا تخشاني".

الطبيب بتردد: "موافق، ولكن بشرط".

لاقيس: "وما هو".

الطبيب: "بعد أن تنتهي من ألعيبك أريد أن أتحدث إلى إيزابيلا".

لاقيس: "موافق".

فطلبت لاقيس من الطبيب أن يضع يديه على الطاولة، وأن يبسط كفيه، وأن يُبقي عينيه مفتوحتين لكي تقفز داخل عقله، ثم اقتربت من وجهه، ووجهت عينها كالسهم نحو عينيه، وظلت تشخص بهما، فقال لها الطبيب -فرانك- وهو يضحك: "لم أشعر بشيء، ولم يحدث شيء، وجسمي وعقلي ملكي".

فردت لاقيس وهي تبتسم: "هذا ما تظنه أنت".

الطبيب: "هل انتهيت؟"

لاقيس: "نعم".

ثم قال الطبيب لها: "الآن جاء دوري".

لاقيس: "تفضّل".

الطبيب: "لاقيس، أريد أن أتحدث إلى إيزابيلا التي تقودين عقلها وتتكلمين بلسانها".

فتحت لاقيس أعينها حتى كادت تخرج من محجرها، ثم رفعت رأسها إلى الأعلى حتى ارتطم بحفة مقعدها، وقالت للطبيب: "إيزابيلا معك، إيزابيلا تتحدث الآن".

الطبيب: "يا إيزابيلا، هل تعلمي أن الطبيب -كولين- الذي ألقى نفسه من على شرفة غرفته وانتحر لم يكن يصدق أنك ملبوسة؟"

إيزابيلا: "من الصعب جداً أن يصدق الملحدون والأطباء هذا الأمر، فهم يؤمنون بالعلم التجريبي والعملية، ومسألة -الشيطان- لا يمكن إثباتها هنا".

الطبيب: "من هو الشيطان يا إيزابيلا؟".

إيزابيلا وهي تذرف الدموع: "إنه كائن سيء يفعل أموراً سيئة، وأعاقب أنا بدلاً منه سواء بالضرب أو بالحبس".

الطبيب: "إيزابيلا.. أنت قتلت خمسة أشخاص".

إيزابيلا: "لا.. لست أنا من أزهق أرواحهم، وإنما لاقيس من دفعتني إلى ذلك".

وثناء حوار الطبيب مع إيزابيلا إذ بصوتها يتغير فجأة من نغمة حنونة إلى خشنة، ثم قلبت رأسها وصارت تضرب به في سطح الطاولة، وإذا بلاقيس تعود وتقول: "أيها الطبيب، لقد قتلت والدك قبل عشرة سنوات لتزثته".

استشاط الطبيب غضباً عند سماع ذلك وقال: "أنا لم اقتل أبي! أنا لم اقتل أبي!".

(الطبيب إلى هذه اللحظة كان يعتقد أن إيزابيلا مصابة بمرض نفسي يسمى "إضطراب الهوية" والإنفصال المعروف بتعدد الشخصيات، ولكن عندما أخبرته لاقيس على لسان إيزابيلا أنه قتل والده قبل عشرة سنوات ليرثه حينها نخر الشك رأسه، لأنه بالفعل فعل ذلك، والمشكلة أنه لا يوجد أحد في كل الكوكب يعلم بحادثة القتل هذه سوى هو فقط، فكيف عرفت هذه المجنونة بذلك؟!).

قطعت لاقيس حبل أفكار الطبيب -فرانك- وقالت له: "نحن نعلم كل شيء عن تبدد الشخصية وإضطراب الهوية أيها الطبيب".

هنا أسدل الشك رداءه على واجهة عقل هذا الطبيب الملحد، بأنه قد يكون للشيطان وجود في هذا العالم ولكننا لا نراه، وإنما نرى أثره عبر الانسان، ولكن سرعان ما لفت الإلحاد رداء الشك في عقل الطبيب -فرانك- وألقاه في هاوية المخرجات، وأخذ الطبيب يطمئن نفسه بنفسه، ويقنعها أن الإلحاد هو الحق، وأن الشيطان هو وهم اخترعه الانسان.

ثم نطق الطبيب بهذه الكلمات: "لاقيس.. أيتها الشيطانة، لقد فشلت في الاستحواذ علي، وهذا يعني أنك سراب... خيال لا أكثر."

لاقيس: "الصبر أيها الطبيب... الصبر."

بعد ذلك طلبت لاقيس من هذا الطبيب الملحد طلباً غريباً، فقالت له: "أريد أن تكتب عني مقالاً على الشبكة العنكبوتية".

فرد الطبيب: "وكيف أكتب مقالاً عنك وأنا لا أؤمن بك أصلاً؟ بيني لي دليلاً عقلياً واحداً على الأقل كي أصدق بك وبوجودك؟".

لاقيس: "سأقص عليك أهم قصة ستسمعها في حياتك أيها الطبيب المُلحد".

الطبيب: "تفضلي".

لاقيس: "في بداية الخلق كنا مخلوقات ذو إرادة قوية ونقية، حتى أدركنا أن هناك إرادة قوية أخرى تضاهي شوكتنا، وهذه الإرادة جعلتنا نرى أنفسنا صغاراً".

الطبيب: "ماذا تقصدان بالإرادة الأخرى، هل تقصدان إرادة الإنسان؟".

لاقيس: "بالتبع لا أيها الأحمق، أقصد إرادة الله".

الطبيب: "الله!!!!!!".

لاقيس: "نعم، إنه عدوي، الله هو عدوي اللدود".

الطبيب: "ولماذا تقولين ذلك؟".

لاقيس: "لأن هذا الإله منحنا إرادة جبّارة ومنعنا من إستخدامها، وهذا ظلم للشيطان من قبل هذا الإله، وليس هذا فحسب، بل إنه أمرنا بعبادته والصلاة له، لذلك تمردنا عليه ومشينا خلف سيّدنا فوعدنا بالنار منزلاً لنا يوم الدين".

بُهِت الطبيب، وتفوه أثناء سرد لاقيس للقصة بهذه الكلمة: "عجيببيبيبيبيبيبيبي!!!!"، فقالت له لاقيس: "لم أنتهي بعد"، وأردفت تقول: "في المقابل خلق الله الإنسان وأعطاه ملكة الإرادة والحرية، وخلق الجنة والنار، لكي يدخلكم الجنة، ولكننا أردنا أن نخونكم كي ندخل النار معاً وجنباً لجنب، ولهذا قمنا بغمس الإنسان في الشهوات والمعاصي، وأغويناه بالعلم لكي يظن نفسه أنه إله الطبيعة، ورب هذا الكوكب، وينسى ويغفل أن هناك إله واحد أحد فوقها قام بخلقه وبثه في هذا العالم، ومنذ أن سكنتم الأرض بدأت مهمتنا نحن الشياطين في تدمير النوع الإنساني".

الطبيب مذهول ممّا يسمع، ولا يكاد أن يُصدّق، فسألها: "ولم كل هذا الحقد علينا وعلى الإنسان من قبلكم؟!".

لاقيس: "سبب حقد الشيطان على الإنسان هو أن الله خلق الإنسان على صورته، ونحن نعمل ونشتغل ليلاً ونهاراً لنجعل الإنسان على صورتنا نحن... لنجعل الإنسان على صورة الشيطان".

الطبيب مبهور: "هذه هي خطتكم إذن... أن تؤذوا الإنسان!!".

لاقيس: "كلّاً أيها الأحمق، هذه الخطة الفرعية التي تنقلنا للخطة الرئيسية، وهي أن تؤذي -الله- نفسه عبر تدمير خليفته وهو أنتم -الإنسان- إن الإنسان ليس سوى وسيلة للوصول إلى هدفنا الأساسي والجوهري وهو الرب -الله- العظيم بنفسه".

كاد الطبيب أن يفقد عقله بعد سماع كل هذا من قبل لاقيس، فقال لها: "سأكتب أنك مريضة نفسياً وعقلياً، وأنت مجنونة 100% ولا سبيل لشفائك".

لاقيس: "أنا لست مجنونة، وأنت تعلم ذلك جيداً، ولكنك تريد أن تكتب عني ذلك لأنك لا تعترف بوجودي -لا تريد أن تعترف بوجود الشيطان- ولكنك ستعترف بذلك قريباً، بل وستؤمن بي".

أكملت لاقيس تقول: "لماذا لم تخبر زوجتك أنك ستنفصل عنها من أجل السكرتيرة التي تحبها؟".

وهنا فقد الطبيب توازنه، فكيف علمت هذه الشيطانة بأمر مستور لا يعلمه أي بشر على وجه الأرض؟! كيف عرفت بذلك؟!!".

أجاب الطبيب مُتذاكياً: "هذه حياتي، وأنا افعل ما يحلوا لي".

فردت لاقيس: "كم أنت غبي... غبي... ألم تفقه الأمر أيها الأخرق، إنه الشيطان من زين لك هذا، إنه أنا من فعل بك هذا، وأغواك لكي تقع في حب هذه السكرتيرة وتتخلى عن زوجتك؛ أيها الأحمق، لست أنت من فعل هذا، إنه نحن الشياطين من نفعل ذلك باسم الإنسان، لكي نجرّم معنا إلى جهنم، حتى عندما فعلت فعلتك وقَتَلت الجنين في بطن زوجتك، لم تكن أنت الفاعل لوحده، بل كنت معك يا غبي!! يا غبي!! ألم تفقه الدرس بعد، نحن نفعل الحرام معاً".

هنا شك الطبيب في إحاده كلياً، ودأب كالمجنون يسأل لاقيس: "كيف عرفت بهذه الحادثة؟ من أخبرك بأمر الجنين؟".

فأجابته لاقيس: "ألم أقل لك أنني شيطانة وأنت لم تصدق".

انهار الطبيب، وجثم على ركبتيه، وهنا وقفت لاقيس واتجهت صوبه، وتوقفت أمامه ونظرت إليه وهو أسفل منها -وكأنه كلب ذليل- وقالت له: "كل ما هو مطلوب منك أيها الطبيب الملحد الغبي أن تصدق بوجودي، أن تؤمن بوجود الشيطان، وأن الشيطان هو الفاعل المُشترك بالجريمة من وراء المشهد ومن خلف الستار".

فقد الطبيب صوابه أكثر فأكثر، وتزلزل الإلحاد داخله أكثر فأكثر، ودخل الإيمان بقلبه أكثر فأكثر أن الشيطان له وجود، ولكنه هرب من أفكاره حيث مسك ملف الفتاة ووقع أدناه، ورفع توصيته

كطبيب نفسي لإدارة السجن أن لاقيس مُختلّة عقلياً، وتُعاني من اضطراب الهويّة، وهي خطير جدّاً على المجتمع، لذلك نوصي بتنفيذ حكم الإعدام بها بأسرع وقت".

فقلت له لاقيس وهي تضحك: "أنت تعلم يقينا بوجودي، ولكنك رفعت توصيتك لتنتصر لنفسك لا أكثر".

وهنا خرج الطبيب مُسرّعاً كجندي يهرب من وسط المعركة، واختفى...

مرّت السويغات حتى جاءت اللحظة المرقوبة، وعند تنفيذ حكم الإعدام للفتاة أمام الحاضرين، جاء الطبيب برفقة السجّان الذي سيُنّفذ الحكم، فسأل الفتاة: هل من كلمات أخيرة يا إيزابيلا؟".

أجابت لاقيس: "إيزابيلا من ستموت، وأنا -لاقيس- من ستبقى".

ونفذ حكم الإعدام... وماتت.

بعد تنفيذ حكم الإعدام، وبمرور الأيام، أصيب الطبيب النفسي -فرانك- بمرض نفسي، وحاول قتل نفسه عدة مرات، وعندما تم إلقاء القبض عليه والتحقيق معه قال: "لست أنا من يريد أن يقتل نفسه، وإنما الشيطان هو من يحثني على ذلك".

تم عقد لجنة عُليا مجموعة من أطباء أعصاب ونفسيين أكفاء لتقييم حالة الطبيب -فرانك- الذي أصر على أن الشيطان هو الذي يدفعه لإنهاء حياته، فأقرّوا جميعهم بأنه يعاني من مرض نفسي خطير قد يؤدي به إلى قتل نفسه والإنتحار.

تم وضعه في مصحةٍ نفسيّة، وبعد قضاء فترته وتحسن حالته خرج ليجد نفسه مفصولاً من العمل، ومهجوراً من قبل زوجته وأصحابه، فابتسم، وقال لنفسه: "على الأقل وجدت نفسي، وعدلت عن إلحادي، وأمنت أخيراً بوجود الشيطان".

الطبيب فرانك أصبح داعية، مؤمناً يطوف البلاد ليحذر الإنسان من الشيطان ومن وسوسته، وأنه هو الفاعل الرئيسي الخفي في كل الجرائم التي تحدث على يد الإنسان.

فصص وراقعة

أأاء ها الأأر فف أأافف

العمالقة والملعقة

لقد شاهدت أحد أجمل أفلام الممثل العملاق (سيلفستر ستالوني) وهو فيلم "Escape plane" بأجزائه، وتدور أحداث الفيلم حول أسر ستالوني بأكبر وأعظم وأقوى السجون المغلقة في العالم، ولكنّه لم يستسلم لظلمته، و لم يجلس مكتوف الأيدي، بل كان يقرأ في كل جولة له بالسجن -الوفرة- أبعاده وتفصيله وكل زاوية فيه من أجل الهرب.

وأثناء دراسته لهذا السجن المترسن والمستوف بالأمن، إلتفت إلى رجل كان يبرز الدهاء من ملامحه، يحاول هو الآخر الفرار بروحه من عتمة هذا السجن، والذي كان يمثل دوره الممثل المشهور (أرنولد) ومع مرور الوقت أصبحا صديقين، ووضعوا أيديهم معاً لرسم خطة للهروب من هذا السجن الكبير والمخيف والمحكم الإغلاق، وفي النهاية إستطاعا الهروب من السجن بمعجزة، من خلال نفق حفروه "بمسار".

هذه كانت قصة الفيلم باختصار، لكن هناك قصة حقيقية تجاوزت هذا الفيلم الخيالي بمسافات فلكية، قصة حقيقية عنونها ب "العمالقة والملعقة"، قصة ستة عمالقة فلسطينيين من مدينة جنين يحولون الدراما إلى واقع، وهم (محمود عارضة، محمد عارضة، يعقوب قادري، أيهم كمجي، مناضل نفيعات، زكريا زبيدي) الذي تجاوزوا هذا الفيلم السينمائي الرهيب، بل إنهم قد تخطوا كل ما أنتجته أفلام هوليوود التي تحدّثت عن الفرار من السجون.

لا يمكن أن يتخيّل أي إنسان على وجه الأرض كيف خرج هؤلاء العمالقة الستة من سجن "جلبوع" المصمّم بأفضل تصميم وأحدث تكنولوجيا واستطاعوا المناص منه.

الحاكية باختصار... إستيقظ الصّهاينة كالمجانين على خبر هروب هؤلاء الشباب الستة، فهرعوا كالمصروعين ينظرون ويفتّشون عن آليّة فرار هؤلاء الشباب من وراء هذا السجن شديد التعقيد وكثيف الحراسة، ليشاهدوا أنفسهم أمام حفرة صغيرة تقع أمام برج المراقبة العملاق، ليجتثوا كالحمقى أمامها حائرين، مندهشين، كيف لهؤلاء الشباب الفرار من هذه الحفرة، والمصيبة كانت أن هذه الحفرة تقع أمام برج المراقبة العملاق مباشرة، ولكن لم يلحظ أحد ذلك.

المسؤول الأمني ذاب في فجاج الأرض بالإضافة إلى أمن السجن وجيش الإحتلال، بل إن كل إسرائيل فضحت لأنّها وقعت في مأزق وإحراج أمام العالمين، حيث أضحت أضحوكة على منصّات التواصل الإجتماعي، والسبب أن هؤلاء الشبان حفروا الحفرة بملعقة صدئة أسفل المرحاض القابع في السجن، مرورها بشبكات الصرف الصحي حتى أنهوا الفتحة عبر حقل زراعي، ولقد كان هذا الجهد جماعي وعظيم.

وهنا طافت الأسئلة في رؤوس العالم بأسره والتي كان من جملتها: كيف حفروا النفق بملعقة؟ وأين استطاعوا اخفاء التراب الذي حفروه بهذه السرعة؟ وكيف لم يلحظ الحراس من على برج المراقبة

ذلك؟ وكيف أجروا إتصالات هاتفيّة ضمن شبكة المراقبة الإسرائيلية التي ترصد دبت النملة، ولكنها فشلت في اكتشاف هذا الهروب؟

ما حدث هو أقرب للمعجزة...

أعتقد جازماً أن يد الله كانت معهم، قال تعالى: وجعلنا من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً فأغشيناهم فهم لا يبصرون.

هذا الهروب الحقيقي وليس السينمائي هو من يجب أن يتجه إليه المخرجون والمنتجون لإنتاج أضخم عمل سينمائي مقتبس من قصة حقيقية، قصة العمالقة الستة، فلسطينيو الجنسية، الذين حوّلوا الدراما إلى واقع، والذي نجحوا بكسر سجن "جلبوع" بملعقه صدئة، وجعلوا أسطورة ما يسمى -بالجيش الذي لا يقهر- أضحوكة للصغير قبل الكبير.

في النّهاية، كتب الشاعر السعودي (مهذل بن مهدي) يقول:

أتظن أنك عندما أحرقتنني ... ورقصت كالشيطان فوق رفاتي

وتركتنني للذاريات تذرني ... كحلاً لعين الشمس في الفلوات

أتظن أنك قد طمست هويتي ... ومحوت تاريخي ومعتقداتي

عبثاً تحاول لا فناء لثائر ... أنا كالقيامة ذات يوم أت

أيها الفلسطيني.... لا فناء لثائر، فأنت كالقيامة ذات يوم أت.

أنا لست رقماً

هي قصة من آلاف القصص التي رويت على ثرى غزة، حيث كتب شاب فلسطيني من غزة على صفحته -الفيسبوك- هذه الكلمات قبل ثلاثة سنوات لمن فارقوا الحياة واستشهدوا من أهلنا في قطاع غزة، ولكنها في الحقيقة كانت تبدو وكأنها ترثيه هو، وكأنه قفز بالزمن نحو المستقبل، صدقاً لا أعلم هل كان إياد يعلم أن كلماته هذه التي نثرها قبل بضع سنوات هي عزائه أم لا!

قبل الحرب على غزة -السابع من أكتوبر لعام 2023م- نثر شاب يُدعى "بلال إياد عقل" على صفحته يقول: "اسمي بلال، عمري 23 عاماً، وهذا شكلي في الصورة الشخصية على الفيسبوك، أكثر ما يخيفني هو ذكر موتي في استهداف -اسرائيلي- كرقم ضمن الأعداد التي تزيد كل دقيقة، كأن يقولون -ارتقاء شاب وثلاثة آخرين في استهداف اسرائيلي لمنزل مدنيين- أنا لست شاباً عادياً، ولا رقماً، استغرقت ثلاثة وعشرين عاماً من عمري لأصبح كما ترون الآن، أنا لست عادياً، لي بيت، وأصدقاء، وذاكرة، والكثير من الألم... أنا لست رقماً".

لقد ختم بلال رحلته وارتقى إلى جوار ربه بعد ثلاثة سنوات من وضعه لهذه العبارات على صفحته الشخصية -الفيسبوك- في هذه الحرب الهمجية على أهلنا في قطاع غزة -السابع من أكتوبر لعام 2023م- لذلك تذكروا كلماته هذه.. تذكروا أنه ليس عادياً، تذكروا أن له بيت وأصدقاء وذاكرة، والأهم من ذلك، تذكروا أنه ليس رقماً.... تذكروا أن كل قتلنا ليسوا أرقاماً.

رحمك الله يا بلال، ورحم جميع أموات وشهداء المسلمين.

الكلب النازح

أثناء حرب السابع من أكتوبر على غزة، دخل هذا الكلب بيتي مع مجموعة من الناس الذين كانوا يهربون من القصف في الليل، وأقاموا فيه حتى خروجهم في الصباح تاركين الكلب بلا اسم أو صاحب.

كان هذا الكلب يحفظ دخاليج البيت كأنه تربي هنا، يهرب من غرفة النوم الى أرض الديار، ومن الحديقة الخلفية الى سطح البيت متناغماً مع صوت الغارات في محيطنا، يتموضع في المكان الأكثر أماناً قبل أن تفزعه القنابل.

ظل صامداً معي ثلاثة أيام من لحظة الاجتياح، تقاسمنا الخوف والنباح والشظايا واللحم المعلّب، وللعلم لا هو كلبى ولا أنا صاحبه، لكننا نعيش معاً المصير نفسه.

خرجنا نركض ونقفز برشاقة من بين القذائف، لا نحمل شيئاً غير مفتاح لباب البيت المفتوح دائماً، حفاة القلب والعقل والأقدام، شيدنا عريشة من الخرق القديمة وبعض البوص وسعف النخيل، نتناوب عليها مثل صديقين، أهدنا ينام ليحلم بالعودة، والآخر يسهر ليحرس الحلم والطريق.

لا هو كلبى ولا أنا صاحبه، هكذا كان يتعلق الغرباء في بيتي، فما بالكم أنا في الصورة.

هذه قصة كلب نازح وانسان مشرد في غزة.

فَصَحْرَى

فَتَّارِكِيَّة

بقلم بعض الكتاب والأدباء والعامّة في فلسطين وخارجها

حسرة في قلبي

أعشقُ الفضةَ، وأفضّلُها على الذهبِ، ولا سيّما إن كانتِ المصوغاتُ الفضيّةُ قد دخلها حجرٌ فيروزيٌّ، أو خرزاتٌ بلونِ الفيروزِ، كنتُ قد نسيْتُ هذا العشقَ بسببِ مشاغلِ الحياةِ الكثيرةِ، لكنّ سفري إلى مصرَ، وتجوّلي في سوقِ بابِ الخليليِّ، أعادَ إلى واجهَةِ ذاكرتي هذا العشقَ حينَ وجدتُ نفسي أمامَ محلِّ فضيّاتٍ جميلةٍ، فاشتريتُ سلسالاً من الفضةِ، وفيهِ اللونُ الفيروزيُّ الَّذي يروقُ لي كثيراً معه.

لم يكن تصرّفِي ذلكَ إلاّ عودةً لا شعوريّةً إلى حاراتِ الطُفولةِ، وأزقةِ البراءةِ، فعندما كنتُ في المرحلةِ الابتدائيّةِ -اعتقدُ في الصّفِ الثّاني- كانَ لذيّ سلسالٍ فضيٍّ أحبُّهُ كثيراً فيه إبريقٌ على شكلِ الوعاءِ الَّذي تُسكبُ منه القهوةُ العربيّةُ (الدّلةُ)، مزيّنٌ بخزرةٍ زرقاءَ نائنةٍ، وما زالَ ذلكَ السّلسالُ حسرةً في قلبي لكثرةِ ما كنتُ أحبُّهُ.

وكانتُ صديقاتي معجباتٍ كثيراً بهذا السّلسالِ، فقد حاولتُ إحداهنَّ أنْ تقنّعي باستبدالهِ بستِ أساورٍ ملوّنةٍ تلبسُها، وأخرى طلبتُ أنْ تشتريهَ مِنِّي، لكنّي رفضتُ، وقلتُ بأنّه هديّةٌ مِن أمي -رحمها الله- بمناسبةِ عيدِ ميلادي.

بعدَ بضعةِ أيّامٍ، وبينما أنا عائدةٌ إلى البيتِ برفقةِ إحدى صديقاتي، رأيتُ على الأرضِ تعليةً صدرِ حمراءَ جميلةً على شكلِ حبّينِ من الفريزِ، فانحنيتُ، وأخذتها قائلةً لصديقتي: "تعالِي معي كي نسلمّها للإدارة!"، لكنّها رفضتُ، وأشارتُ إلى الخلفِ قائلةً: "انظري الازدحامَ بالكادِ خرجنا من بابِ المدرسةِ، عدا عن ذلكَ أنتِ وجدتها هنا، أي أنّها قد لا تكونُ لطالبةٍ من المدرسة".

وقفتُ حائرةً، كانتِ تعليةُ الصّدرِ جميلةً سحرتني بلونها، وشعرتُ وقتّها بما يقوله المثل: "يا جامع إنْتَ مسكّر وأنا مرتاح!"، مشيتُ مع صديقتي باتجاهِ البيتِ، ولمّا وصلتُ، بعدَ أن غيّرتُ ملابسِي، غسلتُ يديّ وكذلك التعليةَ، ثمّ سارعتُ إلى وضعِها على قطعةٍ من ثيابي في خزانتي، ولم أخبرُ أحداً بها.

بعدَ أسبوعٍ عدتُ من المدرسةِ، وتفاجأتُ بأنّ سلساليّ الفضيّ ليسَ في رقبتي! بحثتُ في ثيابي لعلّه انقطعَ وسقطَ فيها، لكنّي لم أجدُ شيئاً. جلستُ حزينةً أفكّرُ أينَ يمكنُ أن يكونَ سلسالي، وبعدَ قليلٍ سمعتُ صوتَ أمي تُناديني كي أتناولَ طعامَ الغداءِ، فجلستُ مكتئبةً، أكلُ وأنا شاردةُ الدّهنِ، وفجأةً أجهشتُ في البكاءِ، وعجبَ الجميعُ من أمرِي، سألوني ما بكِ، فأخبرتهمُ بأمرِ سلساليّ الضّائعِ.

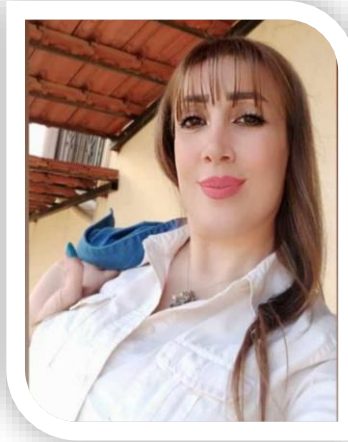
قالتُ أمي مؤنّبةً: "قلتلِك ١٠٠ مرّةً لا تلبسيه عالمدرسة!"، قال أبي مواسياً: "غداً تسألينَ عنه في الإدارة، لعلَّ أحداً وجده، أكملِي طعامك، ولا تبكي"، أما أخوَي، فلم يعنهما الأمرُ كثيراً، شعرتُ بالغَيْظِ وقتّها، وبأنّ الصّبيانَ بلا مشاعرٍ، وبلا قلوبٍ أيضاً! وبينما أنا مغتاظةٌ منهما، قال أحدهما ببرودٍ: "مشان هيك عم تبكي!"، فدعوتُ عليه في سرّي: "انشالله بتضيعُ أعلى لعبة على قلبك!"

في المساء حاولت النوم كثيرًا، كان سلسالي الجميل يتراءى لي، تخيلت أن طفلةً غيري سعيدةً به، تُعلِّقُه على صدرها، وتزهو به، وفجأةً خطرَ في بالي أمرٌ، فنهضتُ، فتحتُ خزانتي، تأملتُ تعليقةَ الصِّدر، قلتُ لنفسِي دامعةَ العينين: "لا شكَّ صاحبُها بكثَّ عليها، كان ينبغي أن أضعها في الإدارة ولو تأخرتُ في العودةِ إلى بيتي، أشعرُ أن الله عاقبني، فأضعتُ سلسالي!".

في صباح اليوم التالي اعترفتُ لأبي لأتبي أعلم أنه لن يوبخني مثل أمي، فقال لي: "لا تُعيدِها مرَّةً ثانيةً، فما نجدُه أمانةً ينبغي أن نرجعها لأصحابها".

في المساء عندما أويثُ إلى سريري، بكيتُ، لكن ليس على سلسالي، بل لأتبي أخطأتُ، بكيتُ، وطلبتُ من الله أن يسامحني! نعم كنتُ صغيرةً، لكن شعوري بالذنب كان كبيرًا، وربما كان أكبرَ منِّي، كنتُ أشعرُ بنعاسٍ شديدٍ، أشتهي النومَ، لكن ضميري كان صاحيًا يؤرِّقني، من قال أنه ليس للأطفال ضمائر؟ ومن قال إن ضمائرهم تنام كثيرًا كما الكبار!؟

بقلم: ميّادة مهنا سليمان
سورية / دمشق



نهاية المزارع

يوم جميل مليء بضحكات التجار من ميكانيكي الى بائع الى مهندس الى... وسبب الضحكات هذه هي الاموال التي كانت تتدفق كالشلال الا المزارعين، ولكن دوام الحال من المحال، فقد تبدل حالهم من أصحاب رؤوس أموال الى أفقر الناس بالمدينة.

كان ذلك بسبب المحصول السيء، لكن هؤلاء المزارعين كانوا أقوى من كل نازلة دبّت بهم، فأكملوا الطريق ووجدوا مخرجاً فيه، وهم في حالة جيدة نوعاً ما، لكن هناك مزارع واحد من بينهم ضل الطريق، فاتجه إلى صيد الاسماك لتدبير اموره.

كان يخرج في وضح النهار للصيد، وكان يعود إلى عائلته بالصيد الوفير، لكن في أحد الأيام لم يحالفه الحظ ورجع خالي اليدين.

توال حظه النحس، وكان الأسماك هاجرت إلى كوكب آخر، وفي احدى الليالي وأثناء عودته الى المنزل وجد سلحفاة، كانت تمشي في منتصف الشارع، وكانت السيارات تمر بسرعة عن يمينها وشمالها، فأوجس هذا الرجل في نفسه خيفة عليها، وركض نحوها، وحملها، ووضعها على الرصيف، وفي إبان ذلك سقطت جوهرة من بيت هذه السلحفاة وهي تمشي على الرصيف، فأمسك بها هذا الرجل وأسدها في جيبه، وغيّر وجهته نحو محل لبيع الذهب.

عرضها على البائع للفحص، ففتح فمه من العجب وقال له: "اقسم لك اني لو أعطيتك محلي بما فيه لن يكفي لسد ثمن هذه الجوهرة، فاذهب الى بائع الألماس".

أخذ هذا الرجل جوهرته واتجه بها نحو بائع الألماس، وعرضها عليه، فأجابه بذات الشيء، ولكن قدم له نصيحة بأن يوفر عناء بحثه عن مشتري لهذه الجوهرة في المدينة، وأن يتجه بها نحو الملك مباشرة، فهو الوحيد القادر على شرائها.

فذهب الى الملك وطلب مقابلته، وبعد جهد وافق الملك على رؤيته عندما سمع بموضوع الجوهرة، فأدخله قصره، وعندما أمسك الملك الجوهرة بيده قال له: "سامحك ستة ساعات أن تأخذ من قصري ما تشاء مقابل هذه الجوهرة"

غمزت الإبتسامة وجه المزارع، وقال للملك: "أي شيء!"، فرد الملك: "أي شيء"، فركض هذا المزارع نحو مائدة الطعام، وأخذ يلتقط منها كل أنواع وأشكال الطعام، ويقضم من هنا، ويبلع من هناك، حتى انتفخ بطنه وأصبح لا يقوى على الحراك، فجلس ليرتاح على فرش الحرير بالصالة، وإذا بعينيه تستلم للنوم.

أيقظه الحارس، وهو يقول: "انتهت الستة ساعات، هيا اخرج من القصر"، فرد المزارع كالمقروص "لالا.... اعطني دقيقة واحدة فقط".

فردّ الحارس: "هذه أوامر الملك، وإن لم تخرج سيزج بك في السجن مدى الحياة، وإن فكرت في المقاومة لن يعرف لك البشر أثر"، ثم صرخ في وجهه: "هيا اخرج".

وهذه هي نهاية المزارع.

بقلم: رنيم محمود رفيق
فلسطين / جنين



رسالة في مكتبي

في مدينة صغيرة، كانت تعيش امرأة تُدعى "ليلي"، وكانت تعمل في مكتبة قديمة ذات ارتفاع سامق وأعمدة رخامية عتيقة.

ليلي كانت ممتلئة العقل بأثقال العلم المتنوعة، كيف لا وقد كانت وظيفتها أمينة هذه المكتبة، تطوف بين رفوف الكتب المهترئة، وتنشأ يدها بين أرتال الصحف المكسّسة، وتقرأ كل ما تيسر لها منها.

وفي يوم من الأيام وهي ترسل نظرها في بهو هذه الرفوف، وقعت عينها على كتاب قديم كان الغبار قد ابتلعه، مدّت يدها نحوه ثم أخذت تكفكف عنه الغبار، حتى تجلى لها اسمه، وإذا بها رواية "الحب في زمن الكوليرا" للكاتب الكولومبي "غابرييل غارسيا ماركيز".

أخذت تتفقد أوراق هذه الرواية، وإذا برسالة رثّة في قلب صفحاتها، كان الزمن قد أكل بعضاً من زواياها، فتحت ليلي هذه الرسالة، لتجد فيها عبارات حب من رجل يُدعى "يوسف" يكسر فيها صمته ويعترف بعشقه لإمرأة تُدعى "عائشة"، وأنه على استعداد تام أن يفعل المستحيل وكل ما يتطلبه الأمر كي تكون مسكنة وموطنه في يوم من الأيام.

نشبت العاطفة أسنانها في قلب ليلي عقب قرائتها رسالة الحب هذه، وشعرت وكأنها تعيش أحداث رواية عشق حقيقية كذلك الرواية -الحب في زمن الكوليرا- التي تحملها بين يديها.

ومع تعاقب الأيام، لم تستطع ليلي الإنفكاك عن التفكير في فحوى هذه الرسالة ومصير كل من يوسف وعائشة، ولو كان بيدها حيلة لقامت بجر الزمن لتخمد نيران الأسئلة المُتقدّة في رأسها، حيث كانت تتسائل: هل اجتمعا سوياً؟ أم أن الزمن قطع الحبل بينهما؟

وفي أحد الأيام، وإذا برجل مُسن قد بلغ من الكبر عتياً واشتعل رأسه شيباً يفتح باب المكتبة ويدخل إليها، أرسل عيونه الجاحظة نحو ليلي ثم انعطف بخطوات بطيئة حتى وقف أمامها، وسألها عن رواية "الحب في زمن الكوليرا"؟ فقالت له ليلي: "هي في هذا الرف يا سيدي"، مدّ هذا العجوز بيده المترهلة والتي كاد أن يسقط اللحم منها نحو الرف، ثم أمسك بها وعينه مدموعة، وأخذ يُقلّب بصفحاتها كالتائه الذي يبحث عن شيء، فقالت له ليلي: "بيدوا أنك لا ترغب في استعارة الرواية!"، فأجابها العجوز: "كلا، كنت أفتش عن أمر ما"، فسألته ليلي: "هل لك أن تخبرني ما هو، لعلني أستطيع مساعدتك؟"، فأجابها وبالكاد كانت أن تخرج الكلمة من فاه: "رسالة... أبحث عن رسالة".

عقدت الدهشة لسان ليلي، وسألت هذا العجوز: "يا عم.. هل يمكنك أن تخبرني باسمك؟"، فأجاب: "أنا يوسف"، رفضت ليلي رأسها من الذهول وقالت: "بعض المشاهد لا تصدق، وبعضها لا يقع حتى في الخيال! أنت يوسف!!"، فرد العجوز: "نعم... أنا يوسف، هل تعرفيني؟"، فردت ليلي: "أنا أعرفك من خلال رسالة في مكتبي، كانت في قلب هذه الرواية التي تحملها"، أوما برأسه العجوز وقال بحزن شديد: "إذن، لم تأخذها".

فتحت ليلى باب درج مكتبها، وأخرجت منه الرسالة وأعطتها لهذا العجوز، فأخذها كما يأخذ الميت ترياق الحياة وانفجر بالبكاء كما الطفل الصغير، أخذته ليلى بحضنها حتى سكن حزنه، وسألته بتلهف: "هل لي أن أسألك عن عائشة؟ وماذا حلّ بينكما؟"، فردّ هذا العجوز: "لقد كنت جندياً، وتم استدعائي للحرب، وكان حب عائشة ينهش وجداني، وكانت تبادلني ذلك بأعينها من بعيد، ولكني لم أكن لأعلم تراتيب القدر وما يخفيه في جعبته لي ولها، فوضعت لها هذه الرسالة والتي أفصح من خلالها عن حبي الشديد لها في بطن هذه الرواية"، فسألته ليلى وقد غلّفت الدهشة صفحات وجهها: "ولما هذه الرواية -الحب في زمن الكوليرا- تحديداً؟"، فردّ يوسف: "لأنها كانت تستعيرها بشكل دوري للقراءة"، ثم سكت لوهلة وأردف يقول: "لا ألومها، فقد غبت في هذه الحرب لثلاثة سنوات، وأشيع عني أنني قد قتلت فيها، لعلها مضت في حياتها مع شخص غيري"، ثم ختم يقول وأعينه تفيض من الدمع: "إن ما تبحثين عنه يا ليلى أنا أبحث عنه أيضاً، أنا لا أعلم أي شيء عن عائشة؟ ولا أدري في أي بلد تسكن؟ لكن كل ما أعلمه أنها تسكن في قلبي ها هنا، وأنها تطوف في خلايا جسدي، وأني أحبها جداً".

ثم أعاد هذا العجوز -يوسف- الرسالة لي، وقال لي: "احتفظي بها يا ليلى"، وغادر المكان.

بقلم: دانية
فلسطين / نابلس

جنازة في مهب الريح

ما زالت تُلَفِّظُ انفاسها... شهيق وزفير، عندها ماكان بوسعي إلا لملمتها في كفن مفتوح، فكم هي كثيرة وثقله.

انظر يميناً وشمالاً، اسرق قطعاً من الليل حتى لا يراني أحد، لأحدد مكان القبر في عتمة الليل... حفرت القبر بيدي النادمتين، فجأة.. أدركت أن ذنوبي التي لملمتها في ذلك الكفن وحفرت لها هذا القبر بيدي بعيداً عن الخلق كي أواربها لاجدوى منها في الآخرة.

عندما تخرج الأرض أثقالها يومئذٍ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم، فما كان الكفن والقبر سوى رحمة وستراً من الله في الدنيا...

ولكن هيهات هيهات، فما زال الكفن يتسع، وما زال القبر فراغاً فاه...

بقلم: ختام خالد كفاية

الأردن / الزرقاء

نوستاليجا الحب

قصة الحنين ... فراق زوجين من العراق وفلسطين أنجبا ابنة اسمها نورهان حرمتهم القيود الحدودية أن يعيشان معاً لأسباب معينة ...

أنا ابنة الحب المسكون في عمق الحقيقة المسلوقة، أنا ابنة جمعت قلوبين من سراب وأمدتهم بعذب ماء يروي صحراء الشعور، قلبان نزفاً حباً ومثاهة.

قالت أمي لأبي: "كنت أحط رحالي عندك عندما يرهفتي الذبول وتلوح أمامي أوجاع السنين ساخرة، عندما سألتك عن مكان إقامتك أخبرتني أنك من العراق اختلفت مسيرة دمي، وكأن بلاد اللجوء باتت باردة قاحلة الجذب، وبات الليل هزياً ممتعاً عن النوم، ومن هنا بدأت بسؤالني لماذا؟" فقد كانت أمي من فلسطين الحبيبة".

وجه أبي المحمل بلفحات الحنين تعلوه ابتسامة وطن نام على الجرح وحمل في نفسه ألم الصبر، ولاذ إلى طريق توعرت مسالكها، عانت أوجاع بلا هوادة.

وقدسية أمي التي تحصنت بالسكوت الذي تجمهر في وقت كان الصمت فيه تعويذة وكان البوح جمرأ يهوى بداخلها في مسارات ظل أخذت تردد عبارات الهوى في مناجاة تناغمت وسط سطور أدبية تكتبها لتفرغ ألمها. وأنا بين يدي النجوى رفرفت قرب السواقي وهمت مع أطيوار السماء.

لمعت عينايا أمي كطفل بوميض لكنه وميضاً مشوباً بمرارة، لم تعرف يوماً كيف تكون السعادة، تبادر إلى ذهني لماذا لم تبلغ أمي السعادة؟ وما الذي كان ينقصها حتى تبلغها؟ وكيف لي أن أغمض عيني عن حلقة جافة أنام فيها، وهل بالإمكان انتهاز فرصة أخرى من الحياة حتى أخرج من دورتها وأعود بها إلى الوراثة لتغيير مسار حياتنا ولو بأملٍ ضئيلٍ أجتث فيه الآلهما التي حفرت في الذاكرة.

يعود بنا السؤال والتعجب من السؤال / لماذا؟ لماذا ولدنا على هذه الأرض مسلوبية الحرية؟ وما الحكمة من وجود الفكر والوعي والنضج مسلوبية الإرادة، في ظل قيود الحدود والمنع الدولي والاحتلال الجائر، فلا تفسير منطقي لهذه الحقيقة.

في ذات ليلة جلست مع أمي تحت وخز البوح ... تحدثني عن ولادتي وقالت: كم مكثت في الفراغ تحت لسع البرد، وكلما اشتد هممت أن أهروا إلى روعة دفء، توقظني في الأونة الأخيرة من معضلة الوجود، كي تبقيني على قيد التحمل.

ما هذا الصدع المتردم في صدريهما، وكيف لهما أن يكونا كائن واحد.

همهمت النفس على مضض بصوت غير مسموع لا يعرف مغزاه، وكل همهمة صوت كان معه بحيح، وجالت في الذاكرة خواطر كانت قد تسربت من خضم الوجد، كل ما مددنا أيدينا لنردم هوة

في داخلنا أمست مهترئة من مسافات لم ترى الحب، قاطبة أضحت حزينة، هل لنا أن نحلم وهل
لحللنا مبعث نور يوحى لنا بأنه يوما ما .. لا بد لنا من الالتقاء ولا بد لنا من التحليق عاليا

تعالوا أحدثكم اليوم عن صدق تلحف بوترات حس إلهي:

أبي - هذا الرجل الذي لم يع معنى أن يكون طفلاً يوماً ولم يع كيف يحيا المراهق، وكيف يكون
شكل النور عندما يشق خيط الفجر ظلما الليل ويسقط قطرات الندى فوق أكام الشجر وتيجان الزهر

...

لم يدرك قهقهات الشباب الصاخبة، وجحافل الشوق المارة فوق صدر عاطفة تعلو تارة وتخبو تارة .

فاسمعوا هذا الضجر حين أمي كانت تقول:

تضعني الحياة في بوتقة ضيقة وتطلق سراحي في صندوق صغير، وحين تراودني الهموم، أبوح
لنفسي عن نفسي بكل مرة اغتالني فيها القدر، هذبت إحساسي بصوت خافت أعلمه أن الصوت
محفوفاً بالخطر، وأن الصمت محفوفاً بالخطر، والمضحك بالأمر أنني أحمل معي حكمة ترافقتني
دوماً وهي " سر النجاح على الدوام هو أن تسير إلى الأمام ". حكمة أشبه بحكمة لجام الحديد التي
تكون في فم الفرس لإحكام جماعه. ولكن ماألهمني الصبر أن رأس حكمتي كان مخافة الله، كما
كنت أحمل حكمة أهل الفلسفة والعلم والتبصر في ضبط النفس والتروي، حكمة أصدرت فيها على
قلبي بالسجن المؤبد ألماً، وكتمت جماعه بحجة الوعي والرأي السديد، وتركتها ترعى أحوالي
بحضور أطراف الدعوى بكل حكم جائر عن الحق ومنافي للعدل صادر في حقي أنا، حق المحكوم
عليه بالغياب الدائم، ولم يكن هناك أحكام استثنائية تقتضي تعليق القوانين بحقي، والله أعلم بما أراد.
فردوا إليّ حكمتي فقد نمت في عقائرها سنيماً طويلة.

بقلم: حنان كامل خروب

فلسطين / قلقيلية

كنت أحلم

كنت فتاة ذات خيال واسع، أغمض عيني وأغوص في بحر أحلامي لساعات طويلة، كنت أحب الورود والقصور والفساتين والمكياج والعطور والمراكب الفارهة، أذهب للنوم كي أحصل عليها هناك، وأركب كالأميرة العربية التي يجرها الحصان الأبيض في ذلك الفضاء.

كنت أسعى للظهور بأجمل صورة ممكنة من الداخل والخارج في حدود رؤية الدين، ولكن كانت لي بعض المخالفات، حيث لم أكن ألتزم باللباس الشرعي، وكنت أضع بعض المكياج على وجهي، وكنت لا أصلي، مع أنني كنت فتاة بسيطة ومن بيئة محافظة، ذات وضع مالي متوسط، إلا أنني كنت أحب أن أبدو جميلة الهيئة، لا انظر الى الشكليات كثيراً، ولكني كأي فتاة أنظر لنفسي كأميرة تنتظر فارسها.

أحب ذلك، لكن لم يكن جُلّ تفكيري مصبوب نحو تلك الأحلام، فقد كان لدي اهتمامات أخرى، لكنني ذكرت على تلك النقطة لهدف ستعرفونه لاحقاً.

تمنيت ان أعيش قصة حب خيالي وأسطوري لا مثيل له في الأفلام ولا المسلسلات، مع شخص يقدرني ويراني كما ارى نفسي، أميرة ذات قلب أبيض وبريء كالأطفال، وأعيش معه في قصرنا الجميل المحيط بالزهور والطيور والأنهار العذبة، تماماً كسندريلا أو سنو وايت أو كأي قصة من قصص أميرات ديزني.

مرت الأيام، وكبرت، وأكملت دراستي في كلية الفنون التشكيلية، وتمت خطبتي، وتزوجت، وأنا ما زلت تلك الفتاة البريئة التي تعيش على أمل أن تكون أميرة وتعيش احدي قصصهم في كنف زوجها.

ولكن سرعان ما صفعني الواقع، وأشاح بوجهي حول كل مفاهيم حياتي عن الزواج، لم أكرث كثيراً، واستمرت الحياة، وكان كل ما أريده أن أعيش حياة مليئة بالحب والتفاهم والإحترام والإهتمام، ولكن يا للأسف، تعرضت لأشد أنواع التعنيف الجسدي والنفسي من زوجي، ووصل بي الحال لطريق مسدود، واخترت أن انسحب وأطلب الطلاق، وتنازلت عن جميع حقوقي في سبيل أن أكسر استعباد ولكمات هذا الهمجي والبربري بحقي، وتم الطلاق.

كانت الأيام تمر بصعوبة وشدة على قلبي المكسور، ولكني أكملت حياتي، فبحثت عن عمل حتى وفقني الله في احدي الوظائف، كان يجلس بجانبني على ديسك المكتب احدي زملائي، والذي كان يلاحقني دائماً بنظراته ويخلق الأعدار كي يتكلم معي.

وفي النهاية تقدم لخطبتي، فوافقت، وشرحت له حالي ووضعي مع طريقي السابق الذي كان يُعنفني، فأخبرني أنه سيحميني وسُيعوضني عن كل ما فات، وكانت النتيجة أنه فسخ الخطوبة وتخلّى عني.

كانت صدمة كبيرة هزت كل وجداني، وجعلتني أحدث نفسي على إثرها كثيراً، وأسألها: "هل هذا ما تستحقه الفتاة الطيبة والمؤدبة والمحترمة؟ ما الذي فعلته يا رب حتى يحصل لي كل هذا؟"، كنت اسمع رأي من حولي حول مسألة "القلب الطيب، أو الشخص الطيب"، فيقولون: "في مجتمعاتنا -الإنسان الطيب والعفوي- لا يستطيع العيش في هذا الزمن، ولا مكان له فيه، ويجب أن يكون الإنسان وحشاً كاسراً كي يستطيع التعايش مع الناس".

كنت ألوم قلبي دائماً، وأوبخه، وأقول له: "يجب أن أنزع الطيبة منك، وسأسعى أن أنزعها منك في يوم من الأيام".

حاولت مراراً أن أقمص شخصية الفتاة الذكية والحذقة والتي لا تفوتها فائتة، وكنت كلما ألبس تلك الشخصية أفشل أمام قلبي الطيب الأبله.

عشت مرحلة قاسية، ومررت بظروف صعبة جداً في مجتمع ينظر للفتاة المطلقة على أنها فرصة يجب استغلالها والعبث بها بكل الطرق، وما أصعب المسألة عندما تكون المرأة جميلة ومطلقة مرتين كحالي! أذكر أنني وضعت الخمار على وجي في إحدى الفترات كي أتفادي نظرات الشباب الأرعن والشهواني الحيواني إلي.

بعد فترة وجيزة تم زواجي من أحدهم، وأنا الآن أعيش معه، أحببته لاحقاً، لكن ليس هذا هو المهم، المهم هو أنني دخلت برفقته الى عالم آخر جديد، أدركت من خلاله أننا لسنا في الجنة وإنما في الأرض، حيث أن هناك مساحة للشر وللفساد على ساحتها، لكنني عبر هذا الزواج كنت أحظى بالإحترام والاهتمام على الأقل.

مرت الايام بصبة زوجي هذا، والتي علمت في إبانها أنني كنت بعيدة كل البعد عن الله تبارك وتعالى، فلم أكن اصلي، ولم أكن أقرأ القرآن إلا في رمضان، ولم أكن ألتزم باللباس الشرعي الفضفاض الذي يستر المرأة من أعين ذئاب وكلاب الشارع، وكنت أضع مساحيق التجميل، وأتعطر أحياناً عند الخروج من المنزل، ولكنني داخلياً كنت أعلم أنني أسير في الطريق الخطأ، ولست راضية عن نفسي أبداً.

واليوم، وأنا أبلغ من العمر 36 عاماً، وبعد زواج دام خمسة سنوات، قررت أن أتغير، والذي دفعني الى التغيير هو حب الله، فلعل الله ابتلاني بما سبق لأنه يحبني ويرغب في عودتي الى المسلك الصحيح نحوه عز وجل.

اتخذت طريقاً جديداً أسير به، فكان أول ما قمت به هو أنني اشتريت لباساً شرعياً كاملاً، وارتديته، ثم قمت بالإستماع إلى دروس وأشرطة الدين، والتي تتحدث عن اسماء الله الحسنی، وعن الجنة والنار، وعذاب القبر.

بكيك كثيراً كثيراً، واستغفرت الله كثيراً وكثيراً، وعاهدته ان التزم، وكان اول يوم في الإلتزام من أصعب أيام حياتي، حيث اتزمت بالصلاة وبالذكر وقراءة القرآن، وخرجت من المنزل دون أن

أضع المكياج، وفي لباس شرعي كامل. كما أنني أدركت أن الطيبة نعمة، لأنه جاء في الحديث عن نبينا محمد عليه الصلاة والسلام أن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.

والحمد لله، منذ ذلك اليوم لم أذق طعماً للسعادة والطمأنينة كالتي أنا عليها اليوم.

كنت اظن أن احلامي الخيالية لن تتحقق، وأن كل ما تخيلته مجرد وهم لا صحة له، ولكن بعد أن عرفت الله علمت أن كل ما قدره وكتبه الله من خير وشر هو لامتحاني، فالخير كي أشكره عليه، والشر كي أعود إليه. وأن أحلامي ستتحقق عند رب كريم رحيم لطيف ينتظرنني ف جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

بقلم مي سليمان
السعودية / الرياض

أنا وأخي

كان عالماً في باكورته غامضاً، لا نعلم عنه أي شيء عندما فتحنا أعيننا، كان المكان ضيقاً ومظلماً، وبالكاد كنا نستطيع أن نمد بأجسادنا، أو أن نفرّد أيدينا وأرجلنا، كنا نشعر أننا داخل صندوق أسود محكم الإغلاق، نتشقلب فيه كي ننفس عن أرواحنا، ونركله أحياناً بأرجلنا التي بالكاد نراها وسط ليل أزلي وأبدي وسرمدي.

كنا نسبح في داخله كما تسبح السمكة في الماء، أو كما يسبح النجم في السماء، نمرر أصابعنا وسط هذا السواد محاولين أن نكتشف أين نحن، ونتسائل: "هل يتواجد عالم آخر بالخارج خلف هذا الصندوق الذي نتوقع فيه؟ هل يوجد فيه شمس؟ وكيف شكلها؟ وهل سنرى وجهها في يوم من الأيام؟ أم أننا سنبقى للأبد في ظلمة هذا المكان؟". كان حلمنا الوحيد هو الخروج من خلف جدران هذا الصندوق.

أحياناً يجرننا الفضول لاستراق السمع عبر جدرانها، فينفذ إلى مسامعنا أمواجاً من الصياح والصرخ والبكاء، وكنا أحياناً نسمع صوت انبجاسات وانفجارت، كان الخارج مخيف، لكن على الأقل تيقنا أن هناك عالم آخر في الخارج.

لقد أحصينا أيامنا في هذا الصندوق، والتي بلغ طولها -270- حتى جاء ذلك اليوم التي ضربت فيه أشعة الشمس وجوهنا، ما أجملها! وما أدهى نورها! ثم ما لبثنا حتى أسدلت الأيدي لانتشالنا من رحم هذا الصندوق.

كان من ضمن تلك الأيدي الحانية والدافئة يد جدتي، جدتي التي ركبت الطريق على عجل من المملكة العربية السعودية حتى حطت ركبها في غزة كي تستقبلنا وتطبع قبالتها على جبهاتنا، وهنا بدأت حكايتنا عند إنطلاق زفراتنا -أنا وأختي- من رحم أمي في إحدى المشافي المدمرة القابعة في قطاع غزة.

قبل بضعة أسابيع على قدوم التوأم...

بعض الأخبار تُصدق، وبعضها يصعب تصديقه، ولكنه كان خبيراً استثنائياً جعلني أقفز كالمذوغ، كيف لا، والقادم من أحشاء زوجتي على بقعة الدم هذه توئماً.

رقصت قلوبنا عندما تلقينا الخبر، وإمتزجت الأفراح والمخاوف معاً، حيث كان قدوم التوأم مفاجئاً على بيت يكبره طفلان "خالد، إيفانا"، وليس هناك فرد من عائلة زوجتي لكي تلقي بحملها الثقيل على كاهله، حيث أنهم يقيمون جميعاً في المملكة العربية السعودية.

لكن حينما تلقت حماتي خبر حمل ابنتها بالتوأم لم تتمالك نفسها، وصرعها حينها إليهم، فغادرت المملكة العربية السعودية واتجهت نحو القاهرة مروراً بحدود معبر رفح، حيث رافقها في رحلتها هذه عدد من المقربين الذين كانت المرة الأولى لقدم البعض منهم الى غزة.

ركبت الطريق برفقة زوجتي متجهين نحو المعبر لاستقبالهم، دخلنا صالة الانتظار، وجلسنا على المقاعد وقلوبنا تفتز فرحاً لفرط اشتياقنا لرؤيتهم -وخصوصاً حماتي- وما ان نظرت الى زوجتي حتى رأيت أعينها تفيضُ غيثً سنينٍ عجاف.

بعد ساعات من الإنتظار، بانث حماتي ومن برفقتها مع آخر الوافدين، كانوا يترنحون من التعب، وما أن وطأت أقدامهم الصالة حتى خرّوا جميعاً ساجدين، وأخذوا يقبلون تراب غزة في مشهد بدأ وكأن رؤيا يوسف فيهم قد تحققت، كان ذلك مساء الخامس من أكتوبر، وكان الجو جميلاً، وعند دخولنا إلى المنزل هرع الجميع نحو الكهرباء، البعض يريد إشعال الضوء، والبعض يريد تشغيل التكييف، والبعض يريد أن يحضر على التلفاز، والبعض يريد شحذ هاتفه، ولم تكن نعلم جميعنا أننا سنودع الكهرباء بعد يومين.

كان الأقرباء مندفعين للتعرف على غزة، وعلى لطيف صوتها، ولذيق طعامها من المأكولات البحرية، والأستمتاع بنسيم بحرها الهادئ الذي يشهدُ على ضفافه قصص الصمود والتحدي.

أما حماتي فقد كان جُلّ همها أن تنشل عن ظهر ابنتها الحامل -زوجتي- عناء أطفالها، فتقاسمت المسؤولية معها وقامت برعاية ابنتي "إيفانا"، وزوجتي قامت برعاية إبنها "خالد"، كانت الزيارة وكان مؤقتة بمدة أقصاها عشرة أيام.

السادس من أكتوبر صباح يوم الجمعة...

كان يوم الجمعة، السماء صافية، والجو جميل لنخرج ونتناول السمك على ساجل البحر، استيقظت وأيقظت زوجتي والتي كانت كسلحفاة مدرّعة تتناقل بمشيتها بسبب بطنها الكبير الذي يتلوى بداخله التوأم اللذان بلغوا -31 أسبوعاً- لتعد الفطور لضيوفنا، أما أنا فقد ذهبت لأداء صلاة الجمعة في أحد أقدم وأكبر مساجد غزة "المسجد العمري"، بعد ذلك جلسنا نتسامر الحديث مع الأقارب والأحباب، وتبادل المزاح والضحكات، ولكن بدا التعب أكثر وأكثر على مَحِيّا زوجتي، فلم يتبقى سوا بضعت أسابيع على قدوم التوأم.

السابع من أكتوبر...

كانت ليلة هادئة تخللها السرور وصخب الذكريات والأحاديث اللامتناهية، حتى نام الجميع، وفي بزوغ شمس السابع من أكتوبر حدث مالم يكن في الحسينان، حيث استيقظنا كالمقروصين ولكن ليس على صوت المنبه، وإنما على صوت القذائف والصواريخ.

لم نكن لنستوعب ماذا يحدث في صفحات السماء، خطوت نحو النافذة لأعابن الحدث، وإذا بالإحتلال الإسرائيلي ينثر أذرعته في كل مكان، صراخ هنا وبكاء هناك، أنين هنا وعويل هناك، أرسلت عيني بين جنوع الواقفين من ضيوفي، حيث كانت وجوههم مخطوفة.

انطلقت محاولاتي لتلطيف المزاج، وتهذئة الحال، ولكن صوت الانفجارات هدم كل محاولاتي، أجم الخوف الجميع حتى التوأم في بطن زوجتي، انتظمتنا في حلقات داخل غرفة واحدة، واقتربنا من بعضنا البعض، وبقينا في منزلي تحت زخات الصواريخ لعدة أيام، وكان المشهد كما وكأن الشمس أشرقت بالليل وسط جثث تطاير في كل مكان، هي لحظات حتى ينطفئ نور الصواريخ المشتعل أخذاً معه صفاً ممن عرفناهم ولم نعرفهم.

بدأ الإنذار بالأخلاء للعديد من المربعات السكنية وكانت منطقتنا إحداهم، حملنا القليل من المتاع وخرجنا جميعاً على الفور، وأثناء مغادرتنا للمنزل كان حال الجيران كحالنا، نرحنا جميعاً بقلوبنا المثقلة نحو حتفٍ لا نعرفه.

كنا نمر من بين الجثث والاشلاء الممزوجة بالتراب لوجهة مجهولة، والموت يرافقنا في رحلة النزوح، فتارة يطاردنا عبر آلة الحرب الإسرائيلي، وتارة عبر الجوع والعطش، فلقد أصبحت رحلة البحث عن طعامٍ صالحٍ للأكل ومياهٍ نظيفةٍ للشرب كابوساً جديداً يضاف إلى قائمة معاناتنا اليومية.

كنت أشعر بالعجز وقلة الحيلة أمام أطفالتي وزوجتي الحامل الذين يتضورون جوعاً، ولم تتوقف معاناتنا هنا، بل كان الشتاء يزور خيامنا المثقوبة ليلاً مصطحباً معه زخاته الثقيلة على أجسادنا، مع أنه يعلم أننا نرتعش.

كنا كمن يعيش في كوكب آخر، معزولين، منقطعين عن الأخبار، لا نعلم حتى أن هناك خبر يتداول حول انعقاد هدنة مؤقتة مدتها أسبوع.

انتهت وجهة نزوحي برفقة زوجتي "بسمة" وحماتي نحو بيت لعمي في شمال غزة، ومكثنا فيه.

نرح الجميع مرة أخرى الى الجنوب، فلم يدع هذا السفاح الإسرائيلي عنق طفل ولا امرأة ولا شاب ولا عجوز الا وفصلها عن عنقها، كنت أرغب بالنزوح معهم ولكن -حماتي وزوجتي بسمة- رفضوا ذلك، مبررين سبب ذلك أنهم على دراية بالناس والناس تعرفهم، ويمكنهم تدبير أمرهم، لكنهم سينقطعون اذا ما نرحوا نحو الجنوب.

كنت مسالماً أنا وزوجتي بسمة وعائلي، مستقلين لا ننحاز لطرف أو لحزب على آخر، ومع ذلك فإنه قد وقع علينا الظلم بمسألي "تقديم المساعدات، والسلات الغذائية"، فلم يكن لنا نصيب منها.

كله هذا في كفة، ومعاناتنا لتحصيل الماء في كفة أخرى، كنت أقطع مسافات طويلة لأجلب الماء في مواعين، ثم أصعد بها الى سطح البيت لأملأها في براميل الماء، وكل هذا كان في ظل ليل دامس حيث لا يوجد كهرباء في القطاع.

وفي احدى الأيام صرخت زوجتي بسمة قائلنا: "حان وقت الولادة"، ولم يكن هناك مركبات تقلنا نحو أي مشفى، حتى جاء فرج الله، حيث مر أحد أبناء المدينة -والذي استشهد لاحقاً- في ذات الوقت، يستقل مركبته لجلب الطحين إلى أهله، فركبنا معه وأوصلنا إلى أقرب مشفى.

موعد اقتراب التوأم...

كنا نعد في أيامنا الأخيرة للخروج إلى هذا العالم، وعلى جميع الأحوال فإنه عند خروج الجنين من رحم أمه فإنه يبكي، ولكننا لم نكن نعلم أننا سنشارك أبي وأمي وكل قطاع غزة البكاء، البكاء على ماذا؟ على أنفسنا مثلاً، على أحلامنا، على حياتنا التي سلبت منا قبل أوانها!

قرر أبي وأمي العودة الي بيتنا في الشمال، وفي تلك الأثناء بقي والدي وحده يصارع المجهول، ينتقل من مشفى الى أخرى باحثاً عن طبيب يولد أمي قيصرية، كانت المشافي في وضع يرثى لها، دماء المصابين تملئ المكان، والعديد من النازحين يفتشون بأجسادهم النحيلة أروقة المستشفيات وخارجها، بينما أبي يتخبط في حيرته، يجوب الاقسام تلو الأخرى، حتى سقطت عينه على مصاب ذو بنية عضلية قوية وضخمة، يده مصابة وشبه مبتورة، لم يكن بوسع الطاقم تقديم أي مساعدة له، فهو كحالنا لا توجد إمكانيات او طواقم طبية متخصصة باقية لمثل هذه الحالة، فتملكه إحباط مخيف، من كان يتصور ان هذا العملاق المخيف سيتحول الى نملة صغيرة!؟

جاء أبي الأقسام والمستشفيات باحثاً عن قابلة، وعندما وجدها أخيراً، بدأت قصة أخرى للبحث عن مخدر أو مسكن من أجل إجراء العملية الجراحية، كان الوقت ينفذ من بين أيدينا، وكانت أمي في وضع صحي حرج، قد تفقد أنفاسها أو تخسر التوأم.

ولحسن الحظ تم العثور على نسب ضئيلة من المخدر، وأجريت العملية، ونجحت، وختم جسد أمي -بسمة- المنهك رحلته، وخرجنا "سيلا وإلياس" لنجد أنفسنا وسط خراب ودمار ومعالم تغيرت ومدن أبيت، وبين 40 ألف شهيد وأكثر من 105 ألف جريح.

ولا زالت الحرب مستمرة، ولا زلنا أنا وأخي ننتظر...

بقلم: أسيل محمد
فلسطين / بيت لحم

معجزة الزمان والمكان

يُحكى أنّ هناك امرأةً جميلةً، طيبة الأصل والصفات، وتحبُّ أهلها ومحيطها، مِعطاءةً تحبُّ الخيرَ للناس وتحبُّ تقديم يد العون والمساعدة، ضُربت مثلاً في الإيثار والتضحية من أجل الذي يستحق، كلُّ هذه الصفات الرائعة لأُمٍ رائعةٍ، تحسبها للوهلة الأولى في منتهى السعادة والسرور، لكنها لم تكن يوماً سعيدةً، عانت طيلة حياتها وواجهت كل الصعوبات، هناك من حاول قتلها، وسلبها بيتها ومكانها، وهناك من حاول التحايل عليها ليخضعها، ولكن دائماً ما كانت صامدةً بأسلّة قويّة شامخة، تفدي أهلها ومحبيها بروحها ولا تلتين.

حاول بعض الأشرار إيذاءها وإنهاكها، فاستعبدوا من حولها لإجبارها على الاستسلام والخنوع، وتمرد البعض في طغيانه على إخوتها، لكنها لم تسمح لهم بإيذائها أو نهش كرامتها وشرها المُصان.

وأثناء ضعف جيرانها وأهلها وإخوتها، وخنوعهم وخضوعهم لجبروت كل ظالم، أبت أن تكون فريسة سهلة كما كانوا، لا تلتين ولا تخضع، ولا تقبل أن تكون سبيّة لأحد.

أتعلم ماذا فعلت؟ وكيف تصرفت؟!

سأخبرك...

ما كان منها إلا أن باشرت وهمّت، فثارت ولم يرفأ لها جفن، ضحت بكل ما تملك وأحرقت نفسها لكي يعيش أبنؤها بحرية وكرامة وشموخ، وهذا ما كان منها، لقد ورّثت لأبنائها العزة والشموخ.

و بعد احراقها لنفسها، استيقظت وانبعثت بها الروح من جديد، لكي تنهض وتمضي في دفاعها عن نفسها وفلذات أكبادها، واستعادة ما سُلِبَ من إخوتها وأقربائها.

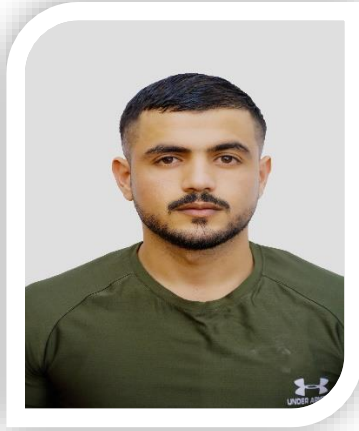
وكانها معجزة الزمان والمكان، بل هي كذلك، هي التي استشهدت مراراً وتكراراً ومن ثم عادت للحياة بروح جديدة وجسد جديد.

أتعلم من هي؟

إنها جنين.

نعم، أنا مدينة جنين، مدينة الجنائن والبساتين، عصابة دائماً على المعتدين، ولادة للأبطال والمقاومين، لا تخضع إلا للخالق الواحد الأحد رب العالمين، أنا جنين الرائعة الباسلة التي تحرق نفسها ولا تستسلم ولا تلين.

بقلم: أحمد قسراوي
فلسطين / جنين



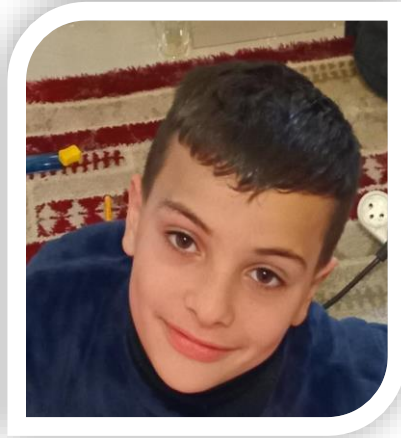
نهاية العالم

كان المكان مظلم، وكانت هناك عاصفة قادمة ستبتلع الكوكب بأسره، تعاركنا معاً، فهناك من يرغب بالاستمرار في المغامرة، وهناك من يود الإنسحاب منها.

انقسم العالم إلى قسمين، الأول يعلم أن هذا هو نهاية العالم، فلقد أخبرهم الكتاب بذلك، لذلك قرّروا الإستمرار نحو قدر الله تعالى، أملين وراجيينه سبحانه أن يشق لهم العاصفة كما شق البحر لنبيه موسى عليه السلام، والثاني فرّ منها كما فر ابن سيدنا نوح -عليه السلام- من طوفان الله ولكن أدركه الغرق في النهاية.

الأول هم المؤمنون، والثاني هم والملحدون، الأول آمن بالله وبالقدر خيره وشره، والثاني كفر به. إن العاصفة آتية لا محال، ولتنتخب سبيلك من الآن، هل أنت من ضمن الفريق الأول، أم من الفريق الثاني.

بقلم: نبيل محمد كبها
فلسطين / رام الله - جنين



أبي واللص

كان هناك رجل اسمه صامد، غادر بلده إلى بلد أعجمي كي يعيل أسرته، وقضى سنوات عديدة في بناء منزله، وفي إبان ذلك سطى على ملكه أحد اللصوص.

وفي يوم من الأيام عاد الى بيته بعد سنين شاقة، ليجد ان هناك لص غريب في مطبخه، يسرق حياته والطعام من افوه أطفاله وزوجته، لم يفكر صامد ولو للحظة، قام بالهجوم على اللص وقتله كي يحمي عائلته وبيته وكل ما فيه.

انتشر الخبر في البلدة، ولام الناس صامد، معتبرين أن هذه جريمة، فرد عليهم صامد: "بما اننا مشتركون بهذه الجريمة، هذا يعني أننا لا نعيش حياتنا بل حياة غيرنا، والطبيعي أن نتعتون بذلك، فعندما نلعب بلعب غيرنا، سيأتي غيرنا ليقترض منا بسبب سرقتنا لأعباه".

حكمت المحكمة ببراءة صامد تيمنا بقوله تعالى: إن الله لا يحب الجهر بالسوء إلا من ظلم، وقوله تعالى: ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب.

عاد صامد إلى منزله، ولكن كان ابنه غير سعيد، فسأله والده: "لم أنت غير سعيد يا بني؟"، فأجابه: "لقد غادرت يا ابي وتركتني مرة فهذا قرار، وأما ان غادرتها ثانيا فهذا خيار".

فرد الأب: "أنا أخترت الرحيل لكي أتمكن من أن أهيب لك يا ولدي العيشة الكريمة في عالم أفضل من العالم البائس الذي كنت أعيش فيه".

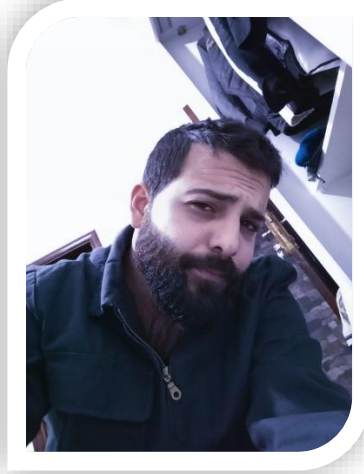
بقلم: سماح عزام
فلسطين / ضواحي القدس

قالت لي

لقد كان صيفا حارا (قالت لي) ثم اتبعت: "اتمنى قدوم الشتاء بسرعة حتى احتضنك"، ثم قاطعت افكاري سمعي وقالت: "لماذا قلبي لا يشعر باختلاف فصولها؟ لماذا هذا البرد الدائم؟ هل تقلبها خلال ذلك العام ثبت مشاعري تجاهها؟ أم نحن جبل الثلج في الالاسكا الذي نصفه الظاهر ناصع البياض ونصفه الآخر غارق فالمياه؟ هل نحن مستعدين للنجاه؟ هل نستطيع العوم؟".

فجأة يرجع لي سمعي ليصطدم بها تقول لي: "انت لست معي...هل تعتمد ذلك؟"، فقلت: "لها لا...انا فقط معك تماما مثلك".

بقلم: علي نبيل كبها
فلسطين / جنين



في النهاية:

**لقد علموني أيها السياسي في المدرسة أشياء كثيرة، فأعطوني ذكريات
لوطن لم أراه بعد، وولاء لحاكم لا يمكنني أن أخدمه، وحباً لطفل فلسطيني
لم أستطع أن أنقذه من أنياب هذا المسخ اللعين التي أنشبهها في جسده
ولحمه!!**

المفكر الإسلامي

محمد نبيل كبها

الفهرس

4.....	إهداء
6.....	شكر خاص
7.....	قصص واقعية من حياتي
8.....	الإبتسامات الحقيرة
9.....	رأيت الأرض
10.....	شيخكم الفاضل
11.....	أنا المسيح
13.....	العاتول أوبتيموس
15.....	ماريا والملحد
17.....	راتبي الأول
19.....	سائق التاكسي
21.....	ابني عبودة
23.....	أنا والسياسي
25.....	صرخة ماكس
30.....	الفيل العملاق
35.....	قصص خيالية من وحي خيالي
36.....	صوتي أقوى
37.....	فنجان القهوة
38.....	الكلب الصهيوني
39.....	قانوني أنا
40.....	أنا الحرامي
41.....	نادلة المطعم
42.....	نقود الشحاد

- 43.....فتاة على الرصيف.....
- 44.....مدير الشركة.....
- 45.....في الثالث والتسعون.....
- 46.....قبلة أورفيوس و أوريديس.....
- 48.....ثيل في الطريق.....
- 50.....الأخيار والجدار.....
- 52.....رأيت العنكبوت.....
- 54.....أنا آسف.....
- 56.....الملاك الورقي.....
- 59.....جنة العنيد.....
- 63.....الشیطانة المؤمنة.....
- 73.....**قصص واقعية كان لها الأثر في حياتي**.....
- 74.....العمالقة والملعة.....
- 76.....أنا لست رقما.....
- 77.....الكلب النازح.....
- 78.....**قصص تشاركية**.....
- 79.....حسرة في قلبي.....
- 81.....نهاية مزارع.....
- 83.....رسالة في مكتبي.....
- 85.....جنازة في مهب الريح.....
- 86.....نوستاليجا الحب.....
- 88.....كنت أحلم.....
- 91.....أنا وأخي.....
- 95.....معجزة الزمان والمكان.....
- 96.....نهاية العالم.....

97.....أبي واللص.

98.....قالت لي.

وبعد أن بلعت الأرض في بطنها هذه الجثة المقهورة.

عاد الطبيب لمغازلة المريضة.

وعاد الشرطي لتصوير النجوم على كتفه.

وعاد القاتل إلى المشهد مرة أخرى للبحث عن ضحية جديدة.

المفكر الإسلامي

محمد نبيل كنها

مجموعة قصصية

تألا

محمد نبيل كنها

